الحمية الإسلامية
في
الانتصار لمذهب ابن تيمية

لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمري
(٦٩٦ - ٧٧٦ هـ)

وتليها

قصيدة في الرد على التقي السبكي والدفاع عن ابن تيمية

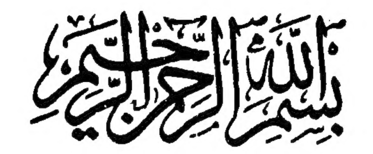
لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي اليمني

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الاسلامية
تحت إشراف
مركز "أبو الكلام آزاد" للتوعية الإسلامية
٨/١ جوغابائي، نيودلهي - ١١٠٠٢٥ (الهند)


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمية الإسلامية

في

الانتصار لمذهب ابن تيمية

سلسلة المطبوعات (١٤)

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ ــــ ١٩٩٢م



مجمع البحوث العلمية الاسلامية
تحت إشراف
مركز "أبو الكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

ISLAMIC SCIENTIFIC RESEARCH
ACADEMY

RUN BY

ABUL KALAM AZAD
ISLAMIC AWAKENING CENTRE
8/1, JOGABAI, NEW DELHI-110025 (INDIA)

POSTAL ADDRESS
4-JOGABAI, NEW DELHI-110025 (INDIA)
Telephone: (9111) 6842920

عنوان المراسلات :
٤ - جوغابائي - نيودلهي ٢٥ ١١٠٠ (الهند)
هاتف . ٦٨٤٢٩٢٠ (٩١١١)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبىّ الأمىّ الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمـا بعـد :

فقد راودتنى ــ منذ سنوات ــ فكرة نشر القصيدتين:

* «الحميّة الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» للسرّمرّى.
* وقصيدة أبى عبدالله الشافعى في الموضوع نفسه.

وبدأت بالتعليق عليهما قبل العدوان البعثى الحاقد على دولة الكويت وعندما خرجت منها بعد هذه الفاجعة الأليمة خروج المضطرّ، فاتتنى مسوّدتهما الناقصة هناك.

ولما اطمأننت وعاودنى النشاط، علّقت عليهما من جديد. واتجهت نيّتى إلى أن الحقهما بكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها فى الحركات الإسلامية المعاصرة» لوحدة الموضوع والهدف، ولكن حال دون ذلك حجم الكتاب المذكور.

وها أنا أقدّم هاتين القصيدتين بشىء من الشرح والتوضيح في مجموعة مستقلة، مع مقدمة تحتوى على أمور، ومنها:

* بيان سبب مهم من أسباب سقوط بغداد، وزوال الخلافة العباسية، ودور العناصر الشريرة في ذلك.

* سبب تأليف «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومناقضة التقى السبكى هذا الكتاب، ووقيعته في مؤلفه، وهى السبب لنظم هاتين القصيدتين.
* تراجم الناظمين والتعريف بقصيدتيهما.

* * *

أشكر الله سبحانه وتعالى أوّلًا، إذ وفّقنى على إتمام هذه المجموعة تقديماً وتعليقاً، ثمّ أشكر الإخوة الذين ساعدونى في النسخ والتصحيح، وخاصة الأخ الفاضل محمد عزير الذى راجع القصيدتين فأجاد وأفاد.

ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أذكر دور فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالحميد بن عبدالجبار الرحمانى (الرئيس العام لمركز «أبوالكلام آزاد» للتوعية الإسلامية بنيودلهى) في تنشيط «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بموافقته على طبع عديد من الكتب العربية والأردية والإنجليزية تحقيقاً وتأليفاً ودراسةً وترجمةً. فجزاه الله خيراً.

نظراً إلى أهمية المطبوعات النافعة في محيطنا أنوّه بأن تقوم دور النشر بعد التعاون والتنسيق فيما بينها، بإصدار انتاجات المؤلّفين القدامى منهم والمحدثين، حتى تظهر نشراتها حلقات متكاملة من كتب التراث المهمة، والرسائل العلمية، والبحوث الهادفة التى تخدم الدعوة على منهاج النبوّة.

والله الموفق، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وصلّى الله على نبيّنا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

صلاح الدين مقبول أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

إن للحق والعدل، والعزة والشرف، والمجد والكرامة تأريخاً، كما للجور والعدوان، والذلة والمهانة، والخيانة والنذالة تأريخ. وشتان بين التأريخين:

تأريخ حافل بالأمجاد والبطولات والمآثر والمفاخر.

وتأريخ مثقل بالأحقاد والنكسات، والمساوىء والمخازىء.

ولكلٍّ من التأريخين عمالقة وأقزام.

عمالقة التأريخ الناصع من أصحاب القرون المشهودلها بالخير ومن تبعهم في العقيدة والدين، والعلم والثقافة، والمنهج والسلوك ... معروفون في كل زمان ومكان.

وأقزام التأريخ الأسود المنافقون المندسّون في الصف الإسلامي ـــ أيضاً ـــ معروفون في كل عصر ومصر.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥]

* * *

الصراع بين الحق والباطل قديم قِدَمَ وجود الإنسان على وجه هذه المعمورة، وزاد هذا الصراع شراسةً وشرارةً بعد مجيء الإسلام كآخر الرسالات السماوية إلى الإنسانيّة جمعاء.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]

وكانت الغلبة والتمكين، بفضل الله العلى القدير، في نهاية المطاف للحق. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[الإسراء: ٨١]

حصل من هذه الغلبة التمكينُ في القلب المؤمن، ولكن بقى التمكينُ فى القلب المنافق لكونه كالكوز مجخِّيا، محل استفهام وتساؤل. فنشأ من رواسبه أمثال عبدالله بن سبأ اليهودى الماكر، وابن العلقمى وزير المستعصم آخر خلفاء بنى العباس، والنصير الطوسى الباطنى وزير هلاكو، وتلميذه ابن المطهر الحلى الرافضى وغيرهم من المنافقين الذين خانوا البلاد والعباد، فباءوا بغضب من الله إلى أبد الآباد.

* * *

منيت الأمة الإسلامية على مدار تأريخها الطويل بمحن وقلاقل، وحروب ومعارك، ونكبات ونكسات لايحصيها إلا عالم الغيب والشهادة — سبحانه وتعالى —، بدءاً بمؤامرة عبدالله بن سبأ اليهودى المتنكِّر المندسّ في الصّف الإسلامى — إلى مالا نهاية.

ولكن وطأة زوال بغداد (سنة ٦٥٦ هـ) كانت أشدّوأنكى على الأمة، لأنّها نخرت جسمها، وهدّت كيانها، وزعزعت ثقتها بقواتها العسكرية ومواردها الاقتصادية، وشخصيتها الإسلامية.

هل كان الاحتلال العسكرى لدار الخلافة، واستلاب الدولة العباسيّة بكاملها، بل محوها من خريطة المعمورة أمراً عفويا ؟

معلوم أن «هلاكو» كان من العبقريات الشريرة في العالم، إذن نزعته التوسعية التى ورثها من أجداده لم تكن غريبة.

إنما الغريب فى هذه الكارثة الفظيعة المؤلمة الوجيعة، ماحلّ بالمسلمين العزل ــ رجالًا ونساءً وشيوخاً وأطفالًا ــ، من الإذلال والإهانة، واستحلال الحرمات واستباحة الأعراض والأموال، وسفك الدماء وقتل الأبرياء، ماتقشعر منه الجلود وتتفطر منه القلوب حزنا وأسى.

وزد إلى ذلك أن الخليفة استسلم بنفسه قبل دخول «هلاكو» في بغداد من غير أى مقاومة سرّية أو مواجهة عسكرية.

إذن لماذا هذا كلّه!

* * *

هنا يقف الإنسان واجماً أمام هذه الوقعة الفاجعة. وتجول في خاطره تساؤلات كثيرة، بحثاً عن الإجابة عنها:

لماذا كانت هذه النكاية في المسلمين؟

لماذا تأججوا عليهم حقداً وحنقا، فاستباحوا أموالهم وأعراضهم ودماءهم؟

لماذا سلبوا البلاد من أهلها ووسّدوها إلى غير أهلها؟

لماذا ... ولماذا ... ؟؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات سهل ميسور على الملمّين بالعناصر الشريرة في طيّات التاريخ الإسلامي، التى تعمل في الظلام عملًا دءوباً لنقض عرى الإسلام وإضعاف أهله وإبادتهم دونما ملل وكلل وحياء وخجل.

حدث أن تولّى محمد بن العلقمى وزارة المستعصم بالله (آخر خلفاء بنى العباس) وكان ابن العلقمى علقماً لأهل السنة، وشيعيّاً جَلْداً ورافضياً خبيثاً، وفاضلا في الأدب والإنشاء،(١) فاستغلّ منصبه في الدولة وحظوته عند الخليفة، وبدأ ينفث سمومه رويداً رويداً في قلب الخلافة العباسيّة، حتى تفاقم شرّه وتسرّب إلى مواقع حساسة في الدولة ولما أحكم قبضته عليها لم يتأخر عن تمهيد السبيل لتدمير الخلافة حسب خطته في مراحل، ومن أهمها:

* **تقليل قوام الجيش:** تهتم الدول من قديم الزمان بتكوين الجيوش التى تكون على مستوى رفيع من التنظيم والإدارة والهمة والإرادة، والشجاعة والمغامرة لأن الجيش يعتبر عموداً فقريّا للدولة، وشوكتها تظهر أمام العالم بجيشها القويّ وعدّته وعتاده: ﴿وَأَعِدُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَ آخَرِيْنَ مِنْ دُوْنِهِمْ لَا تَعْلَمُوْنَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُوْنَ﴾

---

(١) صدق في ابن العلقمى ما هجابه سهل بن بركة أبا نوح النصرانى الكاتب:

بأبى وأمى ضاعت الأحلام ... أم ضاعت الأذهان والأفهام
من صدّ عن دين النبىّ محمد ... أله بأمر المسلمين قيام
إلا تكن أسيافهم مشهورة ... فينا فتلك سيوفهم أقلام

لا، والله بل جمع ابن العلقمى بين السيف والقلم لإبادة المسلمين فكان أدهى بكثير وأنكى من الكاتب النصرانى المذكور.

[الأنفال: ٦٠] شعوراً بواجبه التفت ابن العلقمى إلى تقليل الجيش وإهانته وإذلاله لكسر شوكة الخلافة.، قال ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ:

«وكان الوزير ابن العلقمى قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر (والدالمستعصم) قريباً من مائة ألف مقاتل ... فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف». (٢)

* **معاداة أهل السنّة:** زادت تحرّكات العناصر الشريرة في الدولة تحت وصاية الوزير ابن العلقمي ضد علماء السنة وأكابر البلد. وإذا انضمّت إلى ذلك تصرفاته المهبولة المغرضة ضد الجيش وعامة المسلمين، كان يكفى لإثارة غضب الجماهير على الرافضة، وحصل ذلك بالفعل. قال ابن كثير:

«وفيها [أي سنة ٦٥٥ هـ] كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنّة، فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار.»(٣)

* * *

(٢) البداية والنهاية (١٣ /٢٠٣) وقال أيضا ـــ هو يصف ذُلَّهم وهوانهم عند الوزير الرافضى ـــ:
«وقد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد.... وذلك كلّه عن آراء الوزير ابن العلقمى الرافضى...» (المصدر نفسه: ١٣ /٢٠١)

(٣) البداية والنهاية (١٣ /١٩٦) وقال أيضا:
«فكان هذا مما أهاجه على أن دبّر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات» (المصدر المذكور: ١٣ /٢٠١).

لمّا توجّس ابن العلقمى إرهاصات اليقظة في أهل السنّة. ورأى ذُلَّ نفسه وهوان أقربائه عليهم، وعلم أنّ البهت والمؤامرة، والنذالة والخيانة دورها سينتهي: «... كاتبَ التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهَّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال. وذلك كلّه طمعاً منه أن يزيل السنّة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين...»(٤)

لقد زحف «هلاكو» مع مائتى ألف مقاتلٍ إلى بغداد، وأوّل من برز إليه مهنئاً له ومرحِّبا به هو ابن العلقمى، ثمّ رجعَ وأشار على الخليفة بالمثول بين يديه لتقع المصالحة، فخرج مع سبعمائة راكب من أعيان الدولة وأكابر البلد فقُتِلُوْا عن بكرة أبيهم.

وأشار ابن العلقمى والنصير الطوسى والملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على «هلاكو» بقتل الخليفة: «فقتلوه رفساً ... وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق، ـــ فالله أعلم ـــ فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاده ...»(٥)

* * *

تمَّ احتلال بغداد، بعد قتل الخليفة وأكابر الدولة وأعيان البلد بدون مقاومة فلماذا وضعوا السيف في رقاب الأبرياء من السلمين؟

---

(٤) المصدر نفسه (١٣ /٢٠٢).

(٥) المصدر المذكور (١٣ /٢٠٢)

أشار أولئك الملأ من الرافضة على «هلاكو» بقتلهم شفاء لغيظهم منهم. قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ:

* ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان.
* ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون.
* وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار، إمّا بالكسر وإمّا بالنار، ثمّ يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة.
* ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى...
* وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل، والله أعلم.
* وقتل أستاذ دار الخلافة ــ وكان عدوّ الوزير ــ، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدّة شهور ببغداد.
* وكان الرجل يستدعى به من دارالخلافة من بنى العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذبح كما تذبح الشاة، ويأسرون من يختارون من بناته وجواريه.(٦)

---

(٦) المصدر المذكور (١٣ /٢٠٢ ــ ٢٠٣)

كان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم بمائتى ألف مقاتل ممن لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وجيوش بغداد في غاية القلّة ونهاية الذلّة لايبلغون عشرة آلاف فارس. ومازال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يوماً.

وقد اختلف الناس في كميّة من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة. فقيل: ثمانمائة ألف. وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل: بلغت القتلى ألفى ألف نفس. فإنالله وإنا إليه راجعون، ولاحول ولا قوّة إلا بالله العظيم.(٧)

* * *

«ولما انقضى الأمر المقدّر، وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاويةً على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس [بعد ما كانت آنس المدن]، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيّرت صورهم، وأنتن من جيفهم البلد وتغيّر الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغيّر الجو وفساد الريح. فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإنالله وإنا إليه راجعون.

---

(٧) المصدر المذكور (١٣ / ٢٠٠ ـــ ٢٠٢). ويقال: «إن هلاكو أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف وثمانمائة ألف، والذى لم يحصوه أضعاف ذلك» (حياة شيخ الإسلام بن تيمية للعلامة محمد بهجة البيطار (ص ١٣٣ المكتب الإسلامى الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ)

ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا عمن سبقهم من القتلى واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفىٰ، اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ﴾ [طه: ٧ ــ ٨][٨]

كان وصول «هلاكو» إلى بغداد في ثانى عشر المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وحصل دخوله فيها في أواخر المحرم، ورحل هذا السلطان المسلَّط عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقرّ ملكه.

وفوّضَ أمر بغداد إلى الأمير على بهادر، وإلى الوزير ابن العلقمى فلم يمهله الله ــ ولا أمهله ــ بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة، فمات هذا الشيعى الجلد والرافضى الخبيث جهداً وغمّاً وحزناً وندما، إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم.

فولّى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ابن العلقمى فألحقه الله بأبيه في بقية هذا الغام. ولله الحمد والمنة.

كان ابن العلقمى شديد الحنق على أهل السنة ودولتهم، فدبّر هذه المؤامرة الخبيثة للقضاء عليها، وأراد أيضاً أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمرّ بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة ينشرون عِلْمَهم وعلَمَهم بها وعليها فلم يقدر الله تعالى على ذلك. والله غالب

(٨) المصدر المذكور (١٣ /٢٠٣)

على أمره، ورَدَّ كيده في نحره، وأذلّه بعد العزّة القعساء وجعله ذنباً للتتار بعد أن كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلى الكبير ربّ الأرض والسماء.(٩)

* * *

لما كان ابن العلقمى وزيرَ المستعصم أراد النصير الطوسى دخول بغداد ونشر أفكاره المسمومة بمعاونة الوزير المذكور، وأنشأ قصيدة عربية في مدح المستعصم، وطلب من الوزير أن يعرضها على الخليفة. فلما علم ابن العلقمى مكره، ودهاءه وعقله فخاف من قربه للخليفة فكتب ابن العقلمى سرّاً إلى ناصرالدين المحتشم (وزير السلطان علاءالدين الإسماعيلى الباطنى) الذى كان الطوسى عنده: بأنه ابتدأ بالمراسلات عند الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لايوافق الرأى، فلا تغفل عن هذا.

فلما قرأ المحتشم كتابه حبس النصير الطوسى. فلما أراد الخروج إلى علاءالدين ملك الإسماعيلية في حصن الموت صحب الطوسى معه محبوساً. فمكث المحقق عند الملك.

دان الطوسى بالولاء للوزير ناصرالدين المحتشم الإسماعيلى إلى أن ألّف كتابا سمّاه (الأخلاق الناصرية) وفيه الرخصة في شرب الخمر وما إلى ذلك.

---

(٩) المصدر المذكور (١٣ /٢٠٢ ـ ٢٠٣، ٢١٢)

وإلى جانب صلة النصير الطوسى بالإسماعيلية ــ واعتناقه لمذهبهم اتصل بهلاكو وأصبح مقرَّباً عنده وأشار عليه بقتل المستعصم وذبح المسلمين ببغداد.(١٠)

«هذا البلاء الأعظم الذى وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيّين هو الذى وصفه مؤرخ الشيعة [الميرزا محمد باقر] الخوانسارى بلسان الشماتة والابتهاج في ترجمة النصير الطوسى:

«ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أى الطوسى) للسلطان المحتشم ... ومجيئه في موكب السلطان المؤيّد مع كمال الاستعداد إلى دارالسلام بغداد، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغى والفساد، وإخماد نارالجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بنى العباس!! وإيقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهاربها في ماء دجلة، ومنها إلى جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء الأشرار»(١١)

تصوروا ماكان بين ابن العلقمى والنصير الطوسى من نبوة ومنافرة

---

(١٠) راجع مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم على كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (١ /٩٤ ــ ٩٥) نقلًا عن «روضات الجنات» للخو انسارى (٥٧٩ ــ ٥٨٢) و «دائرة المعارف الإسلامية»: مادة «الإسماعيلية» (١٨٩ ــ ١٩٠)
وراجع أيضا: «البداية والنهاية» (١٣ /٢٦٧).

(١١) راجع «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» للبيطار (١٣٢ ــ ١٣٣) وهذا الكلام نقله العلامة محب الدين الخطيب ــ رحمه الله ــ عن «روضات الجنات» للخو انسارى (ص ٥٧٨ الطبعة الثانية)

لأجل مصالحهما الشخصية الدنيئة حتى وصل الأمر إلى الوشاية والنكاية والحبس والسجن.

ولكن لمّا كانت القضية ضدّ الدولة العباسية، ومحوها من الوجود، وإبادة العباد ودَكِّ البلاد، كيف اجتمع هؤلاء الملأ من الرافضة والإسماعيلية على الشر والفساد، ناسين كل ما حصل بينهم من الجفوة والعناد؟!

زالت الدولة العباسية بمؤامرة داخلية دنيئة نسج خيوطها الوزير ابن العلقمي لحنقه الشديد على أهل السنة ودولتهم، وأعانه عليها النصير الطوسي وزير «هلاكو» شماتة بالمسلمين وتمّ الانتصار العسكرى على بغداد وما تلاه من الغزوالفكرى أشدّ وأنكى.

* * *

تتوارث الشرور والأحقاد كما تتوارث الحسنات والفضائل. لما وجدت هذه الطغمة الضالة المضلّة طريقاً إلى مناصب الدولة بدأت تبيض وتفرخ، وكانت دائما بالمرصاد لتتصيّد سفهاء الأحلام والرعاع الطغام ليقدّموا خدمة لدعاة الشر والفساد والإباحية والانحلال.

شرعت هذه الشراذم الباغية في الغزوالفكرى لهذه المناطق الإسلامية بعدما حصلت لها الانتصارات العسكرية، وسنحت فرصةٌ سانحة لتلميذ(١٢)

(١٢) وقد كانت صلة ابن المطهر الحلى بالنصير الطوسى وثيقة، وكان له أعمق الاحترام والتقدير، فهو يقول عنه في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بنى زهرة: «وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية ... وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق قرأت عليه إلاهيات «الشفاء» لابن سينا...» (منهاج السنة: ١ /٩٢ مقدمة المحقق) نقلا عن « روضات الجنات (ص ٥٧٨)، والبداية والنهاية (١٤ /٧٧)، والدرر الكامنة لابن حجر (٢ /٧١).

النصير الطوسى الباطنى: جمال الدين ابن المطهر الحلى الرافضى (٦٤٨ — ٧٢٦ هـ) (أحد رموز الدعوة إلى الرفض والتشيع) للتقرب إلى الملك (خدابنده) بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن طلو بن جنكيز خان المغولى، فأفرغ جهده في إضلاله بتقوّلاته إلى أن نجح في مهمته وترفَّضَ الملك.(١٣)

* * *

كيف انطلى مذهبه الفاسد على هذا الملك المائع(١٤) في عقيدته ودينه؟

ولماذا ؟

فيه روايتان:

(١) اهتم السلطان بمعرفة مذهب الإمامية، وانعقدت المناظرة بين السنّة والشيعة فغلب ابن المطهر الحلّى بحجته على خصمه فترفّض الملك (خدابنده).

---

(١٣) قال ابن كثير: «أظهر الرفض، أقام سنة على السنة ثمّ تحوّل إلى الرفض ... أقام شعائره في بلاده ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة (أى ٦١٦ هـ). وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد. وقام في الملك بعده ولده أبو سعيد... ولعب كثير من الناس به في أوّل دولته ثمّ عدل إلى العدل وإقامة السنة وأمر بإقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين... ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرور (البداية والنهاية: ١٤ /٧٧)

(١٤) نقل الدكتور محمد رشاد سالم في مقدمته على «منهاج السنة» (١ /٩٦) عن بعض الكتاب: أن (خدابنده) نشأ مسيحيّاً إذ عمد بأمر أمه «أروك خاتون»، وسمّى «نيقولا»، ثمّ اعتنق الإسلام على رغبة زوجته» ثمّ ارتد عن الإسلام برغبة ابن المطهر الحلى الرافضى.

(٢) أن السلطان غضب يوماً من امرأته فطلّقها ثلاثا ثمّ ندم وجمع العلماء فقالوا: لابدّ من محلِّل.

فقال أحد وزرائه: إن عالماً بالحلّة يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث الملك إلى ابن المطهر الحلّى فأفتاه بأن الطلاق الذى أوقعه باطل، لأنه لم تتحقق شروطه، ومنها وجود شاهدين عدلين.

قال الخوانسارى:

«ثمّ شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً فتشيّع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الاثنى عشر، ويضربوا السكك على أسمائهم وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم ...»(١٥)

وقد ارتفعت منزلة ابن المطهر بعد ذلك عند (خدابنده) حتى فاقت منزلة سائر العلماء المتصلين به. وكان يحرص على أن يلازمه على الدوام حتى أنه ــ كما روى الخوانسارى ــ أمر بإقامة مدرسة سيّارة له ــ ذات حجرات من الخيام ــ كانت تحمل مع موكب السلطان أينما ذهب(١٦).

---

(١٥) منهاج السنة (١ /٩٧ مقدمة التحقيق) نقلًا عن «روضات الجنات» (ص ١٧٥) وقال ابن كثير: «وفيها (أى في سنة ٧٠٩ هـ) أظهر ملك التتر (خدابنده) الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أوّلًا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ وأهل بيته، ولما وصل خطيب بلاد الأزج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءاً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأقيم من أتمّها عنه، وصلّى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فإنالله وإنا إليه راجعون. ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة وكثرة الخلاف.(البداية والنهاية: ١٤ /٥٦)

(١٦) المصدر المذكور (١ /٩٨) عن «روضات الجنات» (١٧٥ ــ ١٧٦)

وقال ابن كثير:

«وحظى عنده جمال الدين ابن المطهر الحلّى تلميذ النصير الطوسى وأقطعه عدّة بلاد...»[17]

* * *

لقد استغلّ الحلّى حظوته عند الملك ووجاهته عند أعيان الدولة في ترويج مذهبه الفاسد.

وما كان له أن يصل إلى ما وصل إليه من المنزلة عند الملك، لولم يكن جمود المتفقهة في مسألة الطلاق المذكورة على الرأى المذهبى الذى ألحق بالأمة الإسلامية خسارة فادحة تتقاصر دونها كارثة زوال بغداد، ودفع تلك المنطقة إلى هوة الرفض والتشيع.

أما كان لهؤلاء المتفقهة وفي هذا الموقف الحرج أن يرجعوا إلى ما كان عليه الأمر في زمن النبى ﷺ، وخلافة أبى بكر، وصدر من خلافة عمر — رضى الله عنهما — وهو أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة؟[18]

أما كان لهم أن يتعقلوا مؤامرة ابن المطهر الحلّى ضدهم بتطييب خاطر الملك بحل شيعى في مسألة الطلاق هذه، وعندهم حل نبوى مهجور؟!

كان لهم أن يتفطّنوا لهذا وذاك ولكن التعصب والجمود والعناد...

---

(١٧) البداية والنهاية (١٤ /٧٧، ١٢٥)

(١٨) راجع «صحيح مسلم» (كتاب الطلاق)، ومسند أحمد (١ /٣١٤).

لا أرى موجة هذا الردّة إلا نتيجة لمخالفتهم سنّة النبي ﷺ:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾ [النور: ٦٣]

* * *

إيغالًا في مزيد من الغي والضلال ألّف ابن المطهر الحلّى كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» ليستفيد منه الملك المذكور في اعتقاده الفاسد ومذهبه الكاسد[١٩]، وليدقّ به آخر مسمار في تابوته هو ومن تبعه من الرعاع (والناس على دين ملوكهم)، فتكون لهم حسرة وندامة يوم القيامة، ولات حين مناص:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُوْلُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلًا. يا وَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيْلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُوْلًا﴾ [الفرقان: ٢٧ — ٢٩]

* * *

تضمّن هذا الكتاب مقدّمة وستة فصول على النحو التالى:

* المقدمة: في بيان موضوع الكتاب، والغرض من تأليفه،وهو تقديمه إلى الملك (خدابنده).

---

(١٩) منهاج السنّة (١ /٧٤).

* الأوّل: في نقل المذاهب في هذه المسألة.

* الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع.

* الثالث: في الأدلّة على إمامة عليٍّ بعد الرسول ﷺ.

* الرابع: في باقي الأئمة الاثنى عشر.

* الخامس: في أن من تقدّمه لم يكن إماماً.

* السادس: في نسخ حججهم على إمامة أبي بكر»[٢٠]

﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نورٍ﴾ [النور: ٤٠]

* * *

نظراً إلى دور ابن المطهر الخطير، وحظوته البالغة عند الملك، وعدائه السافر لأهل السنة، وتأثره الشديد بشيخه الغاشم: النصير الطوسي، وانطلاء كتابه «منهاج الكرامة» على الجهلة من الناس ــ كان أهل السنة والجماعة في غاية من القلق والحيرة، باحثين عمن يناقض كتابه بالأدلّة الدامغة من النقل والعقل لتكون على الرافضة حجة في الدنيا قبل الآخرة. فوقع اختيارهم ــ وعلى خبير وقعوا ــ على شيخ الإسلام، «فانتدب في الردّ عليه في مجلّدات أتى فيها بمايبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل»[٢١]

* * *

(٢٠) منهاج السنة (١ /٧٣ ــ ٧٥) ومقدمته لمحققه الدكتور محمد رشاد (١ /٩٩ ــ ١٠٠).

(٢١) البداية والنهاية (١٤ /١٢٥).

قال شيخ الإسلام في مقدمة «منهاج السنة»:

« أما بعد: فإنه قد أحضر إليّ طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنّفه بعض شيوخ الرافضة في عصره منفقاً لهذه البضاعة يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية ...

وذكر من أحضر هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم، وقد صنّفه للملك المعروف الذى سمّاه فيه (خدابنده)، وطلبوا منى بيان مافى هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب لما في ذلك من نصر عباد الله المؤمنين، وبيان بطلان أقوال المفترين الملحدين.

فأخبرتهم أن هذا الكتاب وإن كان من أعلى ما يقولون في باب الحجة والدليل فالقوم من أضلّ الناس عن سواء السبيل. فإن الأدلة إما نقليّة وإمّا عقليّة، والقوم من أضلّ الناس في المنقول والمعقول في المذاهب والتقرير. وهم من أشبه الناس بمن قال الله فيهم: ﴿وَقَالُوْا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيْ أَصْحَابِ السَّعِيْرِ﴾ [الملك: ١٠][٢٢]

* * *

لقد قيّض الله تعالى شيخ الإسلام لتقويض ما شيّده ابن المطهر الحلّي على شفاجرف هار، بالأدلة الدامغة والحجج الداحضة من النقل والعقل في

(٢٢) منهاج السنة (١ /٤ — ٨)

«منهاج السنة». وهو كتاب قيّم عظيم حافل جليل في غاية الجودة والإفادة مع استطرادات نافعة لاتوجد في غيره.

والحق أن كتاب «منهاج السنة» أثلج صدور أهل السنة وأوغر قلوب الرافضة وغيرهم من أهل البدع والأهواء.(٢٣)

* * *

قال ابن كثير تلميذ شيخ الإسلام:

«وله (أى لابن المطهر الحلى) كتاب «منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة» خبط فيه في المعقول والمنقول، ولم يدر كيف يتوجه، إذ خرج عن

---

(٢٣) كان محمد زاهد الكوثرى الجركسى (١٢٩٦ ـــ ١٣٧١ هـ) حامل لواء التجهم وألدُّ أعداء السنّة ودعاتها في العصر الحاضر ـــ معروفاً بعدائه السافر لعلماء الأمة الأعلام، خاصة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ وما من كلمة نابية أو شتيمة مهجورة إلا واستعملها في حقّه وحقّ تلميذه ابن قيم الجوزية، وإمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من علماء السنة المتقدمين والمتأخرين.

لما رأى هذا المخلوق المتأجج حقدا وحنقاً على شيخ الإسلام أنه وُفِّق توفيقاً عجيبا في ردّه على ابن المطهر الحلّى، وشرذمته الضالة، لم يتأخر في مسخ الحقيقة وتشويه التأريخ، وحاول بكل وقاحته أن يغيِّر فضيلة برذيلة يكذِّبها التأريخ والواقع، ولكن المهم يشفى بها غيظه بدون حياء، رضى الناس أم أبوا.

لقد انبرى علامة الشام محمد بهجة البيطار لهذا التشويه فكتب تحت عنوان:

«كذب مفضوح في كتاب مطبوع»

«لو كان هذا الرجل ـــ الكوثرى ـــ ممن يتقى الله ويبالى خزى الدنيا ويوم الحساب، لمارضى لنفسه هذا الموقف الشاذ الذى وقفه من حملة القرآن، ودعاة السنة وحماتها، ولما استباح لنفسه الكذب في التاريخ والتجنى على أئمة الدين ومفاخر المسلمين في كل العصور.

لا أطيل القول عليك أيها القارىء الكريم، إنما أنقل لك جملة مما قال في كتابه

الاستقامة.

=الأخير الذى سمّاه «إشفاق على أحكام الطلاق»...

فقد عرض في كتابه هذا لنابغة الإسلام الإمام ابن تيمية كدأبه في عامة ما يكتب، ولكن هذه الكتابة من أفضح ما كتب وأخزاه، قال ـــ هداه الله ـــ (٧٣):

«ولولا شدّة ابن تيمية في ردّه على ابن المطهر في منهاجه، إلى أن بلغ به الأمر أن يتعرض لعلى بن أبى طالب ـــ كرّم الله وجهه ـــ على الوجه الذى تراه في أوائل الجزء الثالث منه، بطريق يأباه كثير من أقحاح الخوارج مع توهين الأحاديث الجيّدة في هذا السبيل ـــ لما قامت دولة الغلاة من الشيعة في بلاد الفرس والعراق وشرق الأسيا (كذا) الصغرى وأذر بيجان من عهد الملك المغولى خدابنده.

وابن المطهر لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامى، ولكن جوابى يكون بالفعل، حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنيّة من تلك الأقطار، إلى دولة غالية في التشيع بحمل خدابنده الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية هذا، ولوكان يسعى بحكمة لما بعدت شقة الخلاف بين الإخوان المسلمين على الوجه الذى تراه. اهـ

أقول: كلامه هذا صريح في أن الإمام ابن تيمية هو الذى أثار ثائرة الشيعة بتعصبه عليهم وطعنه فيهم وتنقيصه عليا بما يأبى مثله الخوارج، وأنه هو الذى حمل ابن المطهر على هذا الغلو في التشيع، والسعى في نشر المذهب من عهد الملك المغولى خدابنده الذى تشيع وقلب دولته شيعية بسعى ابن المطهر الحلى هذا، وأن «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» لشيخ الإسلام هو الذى زاد النار ضراماً. الخ.

سبحان الله!! ما أجرأ هذا الرجل على تشويه الحقائق وإفساد التأريخ! فهو ممّن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا وإليك الجواب عن هذا الكذب الصريح:

١ ـــ إن شيخ الإسلام لم يؤلف كتابه ابتداء، ولكنه ألّف ردّاً على كتاب الحلى الشيعى ... قد أحضر إليه كتاب الشيعى ولم يكن رآه، وطلب منه أهل السنة والجماعة ردّ مفترياته على أهل السنة، وهو شيخهم بل شيخ الإسلام، ومن أولى منه ببيان الحق وأقدر منه عليه؟

٢ ـــ إن الملك المغولى خدابنده ترفض أو تشيع على يد ابن المطهر الحلّى قبل صدور ردّ شيخ الإسلام عليه ... [لأنه ترفض حوالى سنة ٧٠٩ هـ، وعلى قول الخوانسارى سنة ٧٠٧ هـ=

وقد انتدب في الردّ عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقى

=— وألّف الحلى «منهاج الكرامة» حوالى هذه المدّة، وعلى هذا يكون شيخ الإسلام قد ألف «منهاج السنة» بعد ذلك أى حوالى سنة ٧١٠ هـ]

٣ — إن أقصى ما يكون في كلام شيخ الإسلام هو الدعوة إلى الاعتدال في الأقوال والأعمال، وتخفيف غلو الغالين في العقائد، وتقليص ظل عصبيات أهل البدع والأهواء، ودفع أكاذيبهم وأباطليهم، والغرض من ذلك كلّه تنوير العقول، وتقريب القلوب...

هذه نبذة صغيرة من كلام شيخ الإسلام مصدّقة لما ذكرناه:

قال — رحمه الله —: «و أما الرافضى فإذا قدح في معاوية بأنه كان باغياً ظالماً.
قال له الناصبى: وعلى أيضا كان باغيا ظالماً لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال ... — إلى أن قال —: فالخوارج والمروانية وكثير من المعتزلة وغيرهم يقدحون في علىّ — رضى الله عنه — وكلّهم مخطئون في ذلك ضالّون مبتدعون». اهـ

فأنت ترى شيخ الإسلام يحكى كلام الروافض والنواصب والخوارج، ولكنه لايحكم لفريق على فريق، بل يحكم بأنهم مخطئون مبتدعة ضالون، خلافاً لما يزعمه الكوثرى، المقلّد الغبى، من انتقاص مقام الإمام على، فما أضيع البرهان عند المقلّد! [راجع هذا النوع من الأمثلة في كتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة: ٣٤٣ — ٣٤٤]

٤ — وأوضح وأفضح مما تقدّم ... دعواه أن ابن تيمية هو سبب الغلو في التشيّع، وبسط سلطانه في الأرض، ويوهم كلامه أويفهم أن السلطان خدابنده ترفّض ونشر مذهب ابن المطهر بسبب ابن تيمية...

ونحن ننقل لك بعد هذا الكلام ما ذكره الشيعة الإمامية أنفسهم في سبب ترفض الملك خدابنده، ليعلم مبلغ هذا الرجل من تحريف التأريخ، وقلب الحقائق الواقعية بكل وقاحة أو صفاقة، ونسجل عليه حقده وتعصبه على رجال الإسلام العظام وافتراءه عليهم الكذب الصريح. [ثمّ نقل كلام الخوانسارى في «روضات الجنات» الذى تقدّم في مسألة الطلاق — إلى أن قال —:]

«ثمّ قال [أى الخوانسارى]:

هذه اليد العظمى والمنة الكبرى التى له [أى لابن المطهر] على أهل الحق [أى الرافضة] مما لم ينكره أحد من المخالفين والموافقين، حتى في بعض تواريخ العامة (أى أهل السنة) رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة ومن سوانح سنة سبع وسبعمائة،=

الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلّدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء

=وأظهر خدابنده شعار التشيع بإضلال ابن المطهر. اهـ

أَعَلِمْتَ الآن أيها القارىء الكريم السبب الذى من أجله ترفّض هذا الجاهل الأعجمى المغولى وأنه مسألة شخصية، لا دخل فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا لكتاب منهاج السنة النبوية، وهو كونه طلّق زوجته ثلاثاً وهو غضبان، واستفتى أمثال الكوثرى من علماء عصره فأفتوه بالمحلل ... وقال الملك لهم: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أوليس لكم هنا اختلاف؟ قالوا: لا، لابد من المحلل ـــ أى الملعون بلسان الرسول ﷺ هو والمحلل له، فاستنكف الملك عن هذا التحليل الذى هو زنا صريح. ولو أخذوا بما كان عليه الطلاق الثلاث في عهده ﷺ وعهد صاحبيه، لخرجوا من جحر الضب الذى أوقعوا الملك معهم فيه ولو اهتدى إلى شيخ الإسلام لوجد لمسألته عنده حلا نبويّاً سنيّاً غير شيعيٍّ، ولكن الكوثرى يلبس شيخ الإسلام ذنب غيره، فعليه ما يستحق من ربه.

لماذا تسكت أيها الكوثرى عمن أحرجوا الملك فأخرجوه من بينهم، وتطعن في دين من يردّه وقومه إلى حظيرة السنّة؟ أكان بالله إثماً أن يؤلف ابن تيمية كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، ويردّ به ضلالات ابن المطهر الحلى. والكوثرى السنّى فيما يزعم، يتبجح بقول الحلى الشيعى لإمام السنة: كنتُ أجاوبه لوكان يفهم كلامى! ... [ثمّ ذكر ماروى الخوانسارى عن تذكرة الشيخ نورالدين على بن عراق المصرى أن ابن المطهر كتب إلى ابن تيمية بهذه الأبيات]:

لو كنت تعلمُ كل ما علم الورى ... طرّاً لصرتَ صديق كلِّ العالم
لكن جهلتَ فقلتَ أن جميع من ... يهوى خلاف هواك ليس بعالم

فكتب الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلى فى جوابه هذه القطعة وأرسلها إليه:

يا من يموّه في السؤال مسفسطاً ... إن الذى ألزمتَ ليس بلازم
هذا رسول الله يعلم كل ما ... علموا وقد عاداه جل العالم

وترى الكوثرى ينوّه بكلمة ابن المطهر الحمقاء التى أخذها من شعره [بل ذكرها الحافظ في «لسان الميزان»: ٢ /٣١٧] ولكنه لم يذكر جوابها السديد لبعض علماء السنّة، ويمكنك أن تقف مما أوردناه لك على دخيلته، وتعرف حقيقة نحلته وخبيئته.=

المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل».(٢٤)

نظراً إلى أهمية «منهاج السنة»، وتعميماً لفائدته قام العلامة الحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبى (تلميذ شيخ الإسلام) بتلخيصه في كتاب «المنتقى من منهاج الاعتدال».

* * *

= وجملة القول: أن هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه. ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه، على أنا أوردنا شواهد منها دلّت على سائرها، وعرّفتنا حقيقة قائلها. فمن بقى له شك فيها فليرجع إليها، ليرى كيف أن التعصب يُعْمِى ويُصِمّ، والله عليم بذات الصدور.» (الكوثرى وتعليقاته للعلامة البيطار (١ /٨٧ ـــ ٩٢ مع «التنكيل بما في تأنيب الكوثرى من الأباطيل»، المكتب الإسلامى ط. ثانية ١٤٠٦ هـ)

وراجع لمزيد من التفصيل عن الكوثرى وحقده وحنقه على الأئمة الأعلام كتاب «المقابلة بين الهدى والضلال» للعلامة الشيخ عبدالرزاق حمزة، مع مقدمة الشيخ عبدالله ابن صالح المدنى عليه؛ و«مقدمة العلامة المحدث الألبانى على «شرح العقيدة الطحاوية» طبع المكتب الإسلامى؛ و «براءة أهل السنّة من الوقيعة في علماء الأمة» للعلامة الفاضل بكر بن عبدالله أبو زيد؛ و «زوابع في وجه السنة قديما وحديثاً» و «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» كلاهما لكاتب هذه السطور، طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بنيو دلهى.

(٢٤) البداية والنهاية (١٤ /١٢٥).

لقد عرف فحول علماء السنة في عصورهم قيمة كتاب «منهاج السنّة» لشيخ الإسلام.

أقول: لولم يكن له كتاب إلا «منهاج السنة» لكفاه فخراً وعزّا وشرفاً في الدنيا والآخرة، فكيف وأن المكتبات الإسلامية في العالم تزدان بكتبه ورسائله وفتاواه في جميع العلوم الإسلامية.

قال قائل في «منهاج السنّة»:

فلو كان تأليف الفتى مخلداً له لكان من «المنهاج» والله مُخْلَدُ
ولوكان في الدنيا جزاءٌ لمحسنٍ لكان له فيها النعيم[٢٥] المؤبَّدُ

وأنشد الشيخ المفتى عبدالقادر بن صديق (ـــ ١١٣٨ هـ):

لله دَرّ شهاب الدين أحمد من دُعِيَ ابنَ تيميّة ذى الفطنة اللسن
فقد أتى بالذى لايستطاع له دفع بتحريــــره المنهج الحسن
وأضحت السنّة الغرّاء تزهر من أنوار «منهاجه» في واضح السنن
فالله يوسعه بِرّاً ويشكر ما أبدى لنا معشر القرآن[٢٦] والسنن

* * *

تقى الدين السبكى و «منهاج السنة النبوية»:

كان الشيخ تقى الدين[٢٧] على بن عبدالكافى السبكى الشافعى

---

(٢٥) في الصفحة الأخيرة من «منهاج السنّة النبوية» طبعة الأميرية ببولاق.

(٢٦) منهاج السنة (١ /١٣٨ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام.

(٢٧) راجع ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» للتاج السبكى (٦ /١٤٦) الطبعة الثانية، دارالمعرفة بيروت.

(٦٨٣ ــ ٧٥٦ هـ) من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، وردّ السبكى عليه في رسائل مستقلّة[٢٨] فى مسائل، فصّلها شيخ الإسلام في كتبه ورسائله وفتاواه في ضوء الأدلّة من الكتاب والسنّة.

ولما اطلع التقى السبكى على كتاب «منهاج السنّة النبوية» (ذلك السفر القيم الحافل بالنفائس والدرر) وجده وافياً بالمقصود وقال:

ولابن تيميّة ردّ عليه وفي بمقصد الردّ واستيفاء أضربه

إلا إنه ناقره بأبيات فيها مغالطات وتهويلات من جهة، واتهامات وتحاملات على شيخ الإسلام من جهة أخرى. وإليكم قصيدة السبكى بكاملها[٢٩]:

١) إن الروافض قوم لاخلاقَ لهم من أجهل الناس في علم وأكذبهِ

٢) والناس في غنية عن ردّ إفكهِمِ لهجنة الرفض واستقباحِ مذهبِهِ

٣) وابن المطهّر لم تطهر خلائقه داعٍ إلى الرفض غالٍ في تعصبّهِ

٤) لقد تقوّل فى الصحب الكرام ولم يستحيِ ممّا افتراه غير منجبهِ

---

(٢٨) منها: «الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيميّة»، و «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق»، و «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق» و «الاعتبار ببقاء الجنّة والنار»، و «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»

راجع الرد على محتويات هذه الرسائل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (الباب الرابع) طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» نيو دلهى.

(٢٩) ذكرها التاج السبكى في ترجمة أبيه التقى السبكى في «طبقات الشافعية» (٦ / ١٦٠) إلا البيت الأخير منها، ولم يذكره إلا أبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعى ضمن قصيدته ردّاً على السبكى.

٥) ولابن تيميّة ردّ عليه وفى | بمقصد الردّ واستيفاء أضربهِ
٦) لكنه خلط الحق المبين بما | يشوبه كدر في صفو مشربهِ
٧) يحاول الحشو أنّى كان فهو له | حثيث سيرٍ بِشَرْقٍ أو بمغربهِ
٨) يرى حوادث لامبدا لأوّلها | فى الله سبحانه عمّا يُظَنّ بهِ
٩) لوكان حيّاً يرى قولى ويسمعه | رددتُ ما قال ردّاً غير مشتبهِ
١٠) كما رددت عليه في الطلاق وفى | ترك الزيارة أقفو إثر سبسبهِ
١١) وبعده لاأرى للردّ فائدةً | هذا وجوهره مما أضنّ بهِ
١٢) والردّ يحسن في حالين: واحدة | لقطع خصم قويّ في تغلّبهِ
١٣) وحالة لانتفاع الناس حيث به | هدى وربح لديهم في تكسّبهِ
١٤) وليس للناس في علم الكلام هدى | بل بدعة وضلال في تطلّبهِ
١٥) ولى يدٌ فيه لولا ضعف سامعهِ | جعلت نظم بسيطى في مهذّبهِ
١٦) هذا الذى قاله السبكيّ مرتجلًا | وللبسيط انتمى في بعض أضربهِ

* * *

تتلخّص مؤاخذات السبكى في هذه القصيدة على شيخ الإسلام وكتابه «منهاج السنّة النبوية» في أمرين:

أوّلهما: أنه يحاول في كتابه هذا الحشو والتجسيم.

والثانى: يرى فيه إمكان وجود حوادث لا أوّل لها.

تناول شيخ الإسلام هاتين القضيتين(٣٠) في عديد من كتبه ورسائله

(٣٠) راجع التفصيل عنهما في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (الباب الرابع). وسيأتى الردّ المسهب على السبكى في القصيدتين إن شاء الله تعالى.

وفتاواه بالبحث والتحقيق، وجلّاهما في ضوء الكتاب والسنّة، بحيث لايبقى فيهما مجال للتمويه والمغالطة، ولايخفى ذلك على من دأبه في المسائل المختلف فيها التحقيقُ والتبيين.

أما القاصرون من أهل الأهواء فيؤاخذون على شيخ الإسلام بما ردّ به خصومه عليه عناداً، من غير أن يتأكّدوا مما نسب إليه، ويتبيّنوا من الأمر الواقع، ليروا ما عنده من نفائس الأدلّة والبراهين. ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة﴾ [الأنفال: ٤٢]

* * *

سبب تأليف هاتين القصيدتين:

أنشد التقى السبكى قصيدته المذكورة في الردّ على شيخ الإسلام بعد وفاته، كما يدلّ عليه قوله:

لوكان حيّاً يرى قولى ويسمعه   رددتُ ما قال ردّاً غير مشتبهِ

من هنا نهض تلميذان بارّان من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية لمعارضة قصيدة السبكى ــ بحراً وقافيةً ــ بقصيدتيهما اللتين هما من روائع الشعر الإسلامى، ونفائس الانتصار لمذهب السلف الصالح في العقيدة والعمل، ونماذج الدفاع عن الحق من غير ما ملل وكلل، وبكلّ همّة وإرادة ــ ألاوهما:

* أبو المظفر يوسف بن محمد العبادى السرّمَرِّى، في قصيدته: «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» (وهى تتضمن مائة واثنين وخمسين بيتاً مع أبيات السبكى)

* وأبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي اليمنى في قصيدته التى ردّ فيها على السبكى ودافع عن شيخ الإسلام. (وهى تحتوى على مائة وعشرة أبيات مع أبيات السبكى)

* * *

كان شعر أهل الإيمان والصدق والنزاهة من قديم الزمان أمضى سلاح للدفاع عن الحق، والرد على الباطل.

ولشعراء الإسلام قدوة في حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة وغيرهم من شعراء عصر صدر الإسلام ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ حيث دافعوا عن الإسلام والمسلمين وعلى رأسهم نبيّنا ﷺ.

نجد كثيراً من هذه المواقف المشرّفة، والكلمات الصادقة، والقصائد النابعة بدافع من الإيمان والعقيدة صدرت عبر التأريخ الإسلامى، وتلقتها الطبقة الذكية من هذه الأمة بالإعجاب والقبول، والنشر والتوزيع. ومنها: هاتان القصيدتان لأبى المظفر السرّمرّى، وأبى عبدالله الشافعي اللتان تتميزان بجمال السبك وحسن الصياغة، وسرعة البديهة، وبلاغة الإرشارة، وسلامة المعتقد، واستقامة المنهج مايعطى أهل الحق قوّة دافعة تتسامى على العقبات والظروف، للسير في درب الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل بالقلم واللسان والسيف والسنان لإعلاء كلمة الله في أنحاء المعمورة.

والحق أبلـج لايزيـغ سبيلـــه   والحق يعرفـه ذوو الألبـــاب

* * *

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، فإنّك وليّ التوفيق.

«سبحانك اللهم بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه

نيو دلهى:

يوم الأحد

٢٣/ ٥/ ١٤١٢ هـ

٣١/ ١١/ ١٩٩١م.



الحمية الإسلامية
في
الانتصار لمذهب ابن تيمية

لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمري
(٦٩٦ - ٧٧٦ هـ)

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الاسلامية
تحت إشراف
مركز "أبو الكلام آزاد" للتوعية الإسلامية
٨/١ جوغابائي، نيودلهي - ١١٠٠٢٥ (الهند)



بسم الله الرحمٰن الرحيم

نبذة

عن الناظم السرّمرّى

(٦٩٦ ــ ٧٧٦ هـ)

وقصيدته: «الحمية الإسلامية»

*** اسمه ومولده:**

صاحب «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» هو: يوسف بن محمد بن مسعود العبادى ــ بالتخفيف ــ نزيل دمشق، الحنبلى الإمام العلّامة الحافظ جمال الدين أبو المظفر السُرَّمرّى.(١)

ولدبـ «سرّمرّا» فى سابع عشر من شهر رجب سنة ست وتسعين وستمائه من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

*** رحلته في طلب العلم:**

كان ــ رحمه الله ــ رحّالا حافظاً، ولد بسرّمرّا وتفقّه ببغداد، ورحل إلى دمشق فتوفى فيها.

---

(١) راجع ترجمته في المصادر التالية:

* معجم ابن رافع السلامى.

* الردّ الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى. ط. ثانية ١٣٩٦ هـ.

* لحظ الألحاظ لابن فهد المكى (ص ١٦١) ضمن «ذيول تذكرة الحفاظ». =

* **شـيوخه:**

سنحت للناظم فرصة الأخذ عن كبار العلماء في عصره في العراق ودمشق، ومنهم:

* عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى الحنبلى أبو الفضائل صفى الدين (٦٥٨ ـــ ٧٣٩ هـ).(٢)
* محمود بن على بن محمود تقى الدين أبو الثناء الدقوقى البغدادى الحنبلى (٦٦٣ ـــ ٧٣٣ هـ).(٣)
* أحمد بن أبى طالب الصالحى الحجّار (٦٢٤ تقريباً ـــ ٧٣٠ هـ).(٤)
* سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزى: تفقه الناظم عليه.(٥)

* **براعته فى العلوم:**

لقد برع الناظم في علوم مختلفة وفنون شتى ومنها: العقيدة والسلوك،

= * بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى. ط. ثانية ١٣٩٩ هـ.
* شذرات الذهب لابن عماد الحنبلى.
* كشف الظنون لحاجى خليفة.
* هدية العارفين للبغدادى. دارالفكر ١٤٠٢ هـ.
* إيضاح المكنون له أيضاً. دارالفكر ١٤٠٢ هـ.
* الأعلام للزركلى. ط. ثامنة ١٩٨٩.م.
* معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله.
* فهرس الفهارس للكتانى، تحقيق إحسان عباس.

(٢) الدرر الكامنة: (٣ /٢٢٣ ـــ ٢٤٥)، ولحظ الألحاظ (ص ٢١).

(٣) الدرر الكامنة: (٦ /٨٨ /٨٩).

(٤) المصدر المذكور: (١ /١٤٢).

(٥) المصدر المذكور: (٤/٤٧٤).

والحديث وعلومه، والفقه والفرائض، والسير والتراجم، والخصائص والفضائل، والعجائب والغرائب، والحكم والمواعظ، والتخريج والمشيخة، والنظم والشعر، والنحو والعربية وما إلى ذلك.

نقل الحافظ ابن حجر عن ابن رافع السلامى أنه: «... وكان يذكر أن تصانيفه بلغت مائة، وزادت في بضعة وعشرين علماً...»(٦)

* **مؤلفاته:**

تفنّن المؤلّف ـــ رحمه الله تعالى ـــ فى التصنيف والتأليف نظما ونثراً لتبحره فى مختلف العلوم والفنون، ونظرة واحدة في فهرس مؤلفاته تنبىء عن اطلاعه الواسع على أصول الدين وفروع الشريعة.

وفيمايلى فهرس مؤلفاته(٧) :

ـــ إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة.

ـــ كتاب الأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة.

ـــ الفوائد السرّمرّية من المشيخة البدرية.

ـــ غيث السحابة في فضل الصحابة.

ـــ عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين.

ـــ عقود اللآلى في الأمالى.

ـــ نشر قلب الميت بفضل أهل البيت.

---

(٦) الدرر الكامنة: (٦ /٢٤٧)، وبغية الوعاة (٢ /٣٦٠).

(٧) راجع أسماء مؤلفاته في مصادر ترجمته المشار إليها آنفاً.

ـــ شفاء الآلام في طب أهل الإسلام.

ـــ نهج الرشاد في نظم الاعتقاد.

ـــ شرح اللؤلؤة في علم العربية.

ـــ الأرجوزة الجلية في الفرائد الحنبلية.

ـــ الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر.

ـــ نظم مختصر ابن رزين في الفقه.

ـــ نظم الغريب في علوم الحديث (والأصل لأبيه).

ـــ عجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق.

ـــ صحاح الأحكام وسلاح الحكام.

ـــ الإفادات المنظومة في العبادات المختومة.

ـــ تخريج الأحاديث الثمانيات (أو) ثمانيات يوسف بن محمد العبادى.

ـــ رسالة الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد.

ـــ تخريج مشيخة محيى الدين أبى نصر محمد بن شرف الدين العباسى.

ـــ الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية (وهى هذه القصيدة)[(٨)]

تلامذته:

ذكر المترجمون للناظم ـــ رحمه الله تعالى ـــ بعض تلامذته، ويخصّون بالذكر منهم تلميذين:

* ابنه: إبراهيم بن يوسف بن محمد العبادى العقيلى.[(٩)]

---

(٨) سيأتى التفصيل عن هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

(٩) لحظ الألحاظ (ص ١٦٠).

* محمد بن رافع السلامى تقى الدين أبو المعالى، ابن رافع المحدّث المشهور المصرى نزيل دمشق (٧٠٤ ــ ٧٧٤ هـ)[١٠]

*** ثناء العلماء عليه:**

* قال ابن رافع في معجمه:

«... إن تصانيفه بلغت مائة وزادت في بضعة وعشرين علماً»[١١]

* وقال ابن حجر:

«... وبرع في العربية والفرائض، ونظم عدة أراجيز في عدّة فنون، وخرّج لغير واحد...»[١٢]

* ذكره تقى الدين ابن فهد المكى واصفاً بالإمام العلّامة الحافظ، وقال: «وكان عمدة ثقة ذا فنون إماماً علامة، له مصنفات عدّة في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، خرّج وأفاد وأملى رواية وعلماً...»[١٣]

*** وفاته:**

قضى الناظم ــ رحمه الله تعالى ــ حياته حافلا بالتصنيف والتأليف والإفادة والإملاء في علوم شتى نظماً ونثراً، ومدافعاً عن العقيدة الصحيحة،

---

(١٠) الدرر الكامنة: (٥ /١٨٠ ــ ١٨١).

(١١) المصدر المذكور (٦ /٢٤٧)، وبغية الوعاة للسيوطى (٢ /٣٦٠).

(١٢) الدرر الكامنة: (٦ /٢٤٧).

(١٣) لحظ الألحاظ (١٦٠ ــ ١٦١).

ومنافحاً عن منهج السلف الصالح إلى أن جاء أجله المحتوم، فتوفى — رحمه الله — في يوم السبت الحادى والعشرين[١٤] من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة عن عمر يناهز ثمانين سنة ... إنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه!

* * *

(١٤) في بعض المراجع «الحادى عشر من جمادى الأولى» كما في «بغية الوعاة» للسيوطى.

قصيدة

«الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية»

أنشد الناظم: أبو المظفر يوسف بن محمد السرّمرّى هذه القصيدة [1] الرائعة رداً على التقى السبكى في قصيدته البائية المشهورة دفاعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

إحتوت قصيدة السبكى على ستة عشر بيتا، وجاء ردّ السرّمرّى عليها في مائة واثنين وخمسين بيتا بحيث أورد أبيات السبكى ضمن قصيدته وردّ على كل بيت منها على حدة.

ذكر أوّلًا خمسة عشر بيتاً تمهيداً لقصيدته، ثم ذكر أول بيت من قصيدة السبكى، وبدأ بردّه المفصّل ومن أبياته:

يا أيها المعتدى قولا ومعتقداً ... على ابن تيمية ظلماً ومذهبه

بيّن لنا بصريح القول معتمد الـ ... إنصاف والعدل فيه ما تريد به

(١) نشرت هذه القصيدة في تقاريظ «منهاج السنة» (٢ ــ ٧ = طبعة الأميرية) وفي مقدمة التحقيق على «منهاج السنّة» (١ /١١٧ ــ ١٢٥) بقلم الدكتور محمد رشاد سالم، وعلّق على هذه القصيدة في ثمانية مواضع على النحو التالى:

* موضع فيه إشارة إلى ترجمة المؤلف.
* وموضع فيه شرح كلمة «المقنب»
* وستة مواضع فيها تتمثل في قوله: «كذا بالأصل».

وإنى أشرت إلى الدكتور محمد رشاد سالم في هذه المواضع بحرف (م) اعترافاً بفضله، والفضل للمتقدّم.

وقال:

لكـن إذا الأسد الضرغـام غاب عن الـ ـسعرين تسمع فيه ضبح ثعلبه

كذا الجبان خلا في البرّ صاح ألا مبارز وتغالى في توثّبـه

إلى أن قال:

فالفتك قيّده التقوى ومذهبنا ترك الجدال وتأنيبٌ لطالبـه

فهـذه نبـذة أوردتُهـا عجـلًا عن ابن تيميـة نصراً لمذهبه

* * *

تقدم أن الناظم السرّمرّى — رحمه الله تعالى — كان عمدة ثقة إماماً علامة ذافنون. وبرزت شخصيته العلمية في كتبه في حقول مختلفة ومنها:

— اعتناؤه بعقيدة السلف الصالح والرد على أهل الكلام المذموم.(٢)

— واشتغاله بالفقه، وقد تفقّه على الشيخ سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزى كما ذكره الحافظ ابن حجر،(٣)

— ومهارته في الحديث وعلومه.

لقد جمع الناظم في هذه القصيدة كل هذه المزايا فجاءت في الصميم، وأصابت الهدف، بحيث تململ بها المتهالكون من أهل البدع والأهواء لوقعها

---

(٢) راجع «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد» للناظم (وهو يحتوى على (١٥١) بيتاً في تقرير مذهب السلف الصالح، والردّ على الكلام المذموم.

(تنبيه): وذكر البغدادى في هدية العارفين (٢ /٥٥٨) كتابا منظوما للناظم بهذا الاسم وقال: فيه ثلاثمائة بيت: فلعله كتاب أوسع مما رأيت عند الأخ الفاضل بدر الزمان محمد شفيع النيبالى نسخة منه بخط يده بهذا الاسم وفيه (١٥١) بيتاً كما تقدم.

(٣) الدرر الكامنة: (٤/ ٤٧٤).

الشديد على قلوبهم، فرماه أحدهم (٤) بعميه في البصيرة وافتنانه بابن تيمية.

ثم جاء من (٥) أخذ على نفسه عهداً من الله أن يقعد صراطه المستقيم وقال تعليقاً على ترجمة الناظم:

«.... قال ابن ناصر الدين:

ومن مؤلفاته نظماً كتاب (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية) اهـ. (يعارض فيها القصيدة البائية المشهورة لابن السبكى) وقد وفاه الكيل بعض أصحاب الشافعية من أهل العصر.

وكان صاحب الترجمة بعيداً عن علم الكلام وأصول الدين، منصرفا إلى مجالس الرواة، يسير وراء ابن تيمية في شواذه حذوالنعل بالنعل كغالب مقلّدة الرواة من أهل زمنه، ومنهم من يعذر، ومن لايعذر.

ولاترى في تراجم أمثاله أنهم تخرّجوا في أصول الدين بفلان، وتفقهوا عند فلان ــ إلى أن قال ــ:

ولاتتّسع قرائح أمثالهم للبراهين الصحيحة، ويبقون في منازل العامة فهماً». (٦)

هذا تعليق هذا الشأنى على كتاب «لحظ الألحاظ» لابن فهد المكى،

---

(٤) وهو كمال أبو المنى (الشخص المشبوه) في مقدمة الرسائل السبكية (ص ٦٧) والتوفيق الربانى (ص ٧٧).

(٥) وهو «الكوثرى» ــ علم الله، حاولتُ مراراً أن لا أتعرض لهذا المخلوق ولكن كلما أمر بموقف مشرف من مواقف سلفنا الصالح أجده هناك يهوّل ويلبّس. فعليه من الله ما يستحق.

(٦) لحظ الألحاظ (ص ١٦١ تعليقاً).

وقد تغاضى فيه بغضاً ولؤماً عما وصف المؤلف المكى المذكور نفسه به الناظم (صاحب الترجمة) من قوله: «الإمام العلامة الحافظ» وقال:

«وكان عمدة ثقة ذافنون إماماً علامة له مصنّفات في أنواع كثيرة»(٧)

تغاضى عن هذا كله، بل نفى عنه أموراً هو فيها إمام، وجعل حسناته ذنوباً لاتغتفر:

إذا محاسنى اللائى أدلّ بها تُعَدُّ ذنوباً فقل لى كيف أعتذر

* * *

كان الناظم ـــ رحمه الله ـــ محدثا حافظاً فقيها فرضيا نحويّاً ناظماً، مشاركاً في غير ذلك من العلوم، من زمرة أهل السنة والجماعة، بعيداً عن الكلام المذموم الذى يؤدى أهله إلى إنكار صفات البارى تعالى أوتأويلها حسبما تهوى عقولهم المريضة، وخيالاتهم الفاسدة.

وأوتى ـــ رحمه الله ـــ حظّاً وافراً من الدقة والفهم، واتباع الأدلة من الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ما جعل بعض جهمية عصرنا ـــ الذين يعدّون أنفسهم من الأعلام وهم أجهل بكثير من العوام، يتململون ويتولولون، ويقعون فيه لأجل تمسّكه بالحق، ومناقضته في كتبه وأراجيزه من يخالف المنهج المستقيم في تحرير العقائد وتقرير الأحكام.

ولاريب أن العبرة بالحق وأهله الذين ينهلون من منهل الكتاب والسنة،

---

(٧) المصدر المذكور (١٦٠ ـــ ١٦١).

لا بالبدعة وأهلها الذين لاتتسع قرائحهم للبراهين الصحيحة، والدلائل المستقيمة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الحمدلله أولا وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

* * *



نص

قصيدة «الحمية الإسلامية» للسرّمرّى


بسم الله الرحمن الرحيم

(المقــدّمــة)

(١) الْحَمْـدُ للهِ حَمْـداً أَسْتَعِيْنُ بِهِ
فِيْ كُلِّ أَمْرٍ أُعَانِــيْ فِيْ تَطَلُّبِــهِ

(٢) لَا سِيِّمَا فِيْ انْتِصَافٍ مِنْ أَخِيْ إِحَنٍ
طَغٰى عَلَيْنَــا وَأَبْــدٰى مِنْ تَعَصُّبِــهِ

(٣) بَغْياً وَعَدْواً وَإِفْكًا مُفْترىً وَهَوىً
فَقُــلْتُ رَدًّا عَلَيْــهِ فِيْ تَوَثُّبِــهِ

(٤) يٰا أَيُّهَا الْمُعْتَـدِى قَولًا وَمُعتَقَـداً
عَلٰى ابْـنِ تَيمِيَّـةٍ ظُلْمــاً وَمَذْهَبِــهِ

(٥) بَيِّنْ لَنَا بِصَرِيْحِ الْقَوْلِ مُعْتَمَدَ الْـ
إِنْصَافِ وَالْعَـدْلِ فِيْـهِ مَا تَرِيدُ بِــهِ

(٦) الغَضُّ مِنْهُ فَهٰذَا لا يَجُوزُ، أَمِ التَّـ
ـحْقِيْقُ لِلْحَـقِّ، فَاسْلُكْ نَهْـجَ سَبْسَبِـهِ

---

١ — أعانى: أقاسي.

٢ — إحن: كعنب، جمع الإحنة بالكسر: الحقد، أو الغضب.

٣ — توثبه: ظفره، واستيلائه ظلما.

٤ — المعتدى: هو التقى السبكى، الذى ردّ في قصيدته على شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦ — الغض منه: الوضع من قدره، أى قدر شيخ الإسلام ــ رحمه الله تعالى ــ.
السبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة. والمعنى أنك إذا أردت تحقيق الحق، عليك أن تسلك منهج شيخ الإسلام.

قال الدكتور محمد خليل هراس: وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه=

(٧) شَهِدتَّ بِالْفَضلِ فِيْهِ، ثم جِئْتَ بِمَا

يَنْفِيْـهِ، فِعْـلَ غَوِيٍّ فِيْ تَلَعُّبِـهِ

(٨) أَجْمَلْتَ قَولَكَ فِيْهِ بِالْوَقِيْعَةِ مِنْ

غَيْـرِ البَيَـانِ لَهُ لٰكِـنْ بِأَصْخَبِـهِ

(٩) مَوَّهْتَ فِيْهِ عَلَى الْجُهَّالِ لَا وَرَعٌ

ثَنَـاكَ عَنْـهُ وَلَا تَوْقِيْـرُ مَنْصِبِـهِ

(١٠) طَعَنْتَ فِيْهِ فَجَاءَتْ فِيْ الْحِجَابِ كَذَا

مَنْ يَخْصِمُ الْحَقَّ لَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلَبِـهِ

(١١) وَجِئْتَ فِيْهِ بِقَـوْلٍ غَيْـرِ مُتَّسِقٍ

لَفْظـاً وَمَعْنًـى بَعِيْـدٍ مِنْ مُصَوَّبِـهِ

(١٢) نَظَمْتَ شِعْراً زَعَمْتَ الْفَضْلَ فِيْهِ فَقَدْ

أَسْجَلتَ بِالنَّقْضِ فَاكْـرَعْ مُرَّ مَشْرَبِـهِ

(١٣) رَكِيْكُ لَفْـظٍ قَوَافِيْـهِ مُغَايِـرَةٌ

.... إِيْطَـاءٌ بِأَضْـرُبِـهِ

= اقتلوا، وعلى كتبه تخرجوا. (ابن تيمية السلفى: ص ١٩٨، اليوسفية ١٩٥٢م)

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: «لاغنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام الحقيقيعن مطالعة كتبه، والتزود من علمه» (على ظهر غلاف «لمحات من حياة شيخ الإسلام)

١٠ ـ (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) [قٓ:٥]

١٢ ـ أسجلت بالنقض: أى قَدَّمتَ كلاما متناقضا.

فاكرع: فاشرب.

١٣ ـ قوافيه: جمع قافية: آخر كلمة في البيت أو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة.=

(١٤) عَرَّضْتَ عِرْضَكَ فِىْ عَرْضِ الْعُرُوْضِ بِمَا
يُزْرِىْ وَغَرَّكَ فِيْهِ شَيْمُ خُلَّبِهِ

(تقصير السبكى في الردّ على الروافض)

(١٥) فَمَا أَجَدْتَّ بِهَجْوِ الرَّافِضِىِّ وَلَا
قَصَّرتَ فِىْ الطَّعْنِ فِىْ السُّنِّى وَمَذْهَبِهِ
(١٦) قُلْتَ الرَّوَافِضُ قومٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ*
مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِىْ قَوْلٍ وَأَكْذَبِهِ
(١٧) قَصَّرْتَ مِن هَجْوِهِمْ فِىْ قَصْرِ جَهْلِهِم
وَالْكِذْبُ فِىْ الْعِلْمِ خِبُّ ارْجِعْ بِأَعْيَبِهِ

= وفي بداية الشطر الثانى من هذا البيت بياض بالأصل المطبوع مع «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام، طبعة الأميرية: وكذا في طبعة الدكتور محمد رشاد سالم أيضا.

١٤ ــ شيم: شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر.
خلب: السحاب لا مطر فيه.
والمعنى: أنك غرك النظر إلى برق السحاب الذى لامطر فيه.

١٥ ــ الرافضي: هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن على ابن المطهر الحلى (٦٤٨ ــ ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة، صاحب كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة». الذى ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ في سفره القيم العظيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، (راجع شرح البيت رقم (١٣) من قصيدة الشيخ أبى عبدالله محمد بن جمال الذين الشافعى اليمنى)

١٦ ــ قلت الروافض: أشار به الناظم أبو المظفر العبادى السرمرى إلى قول التقى السبكى: «إن الروافض قوم لاخلاق هم».

١٧ ــ خبّ ارجع باعيبه: قال مصحح الطبعة الأميرية: «كذا وقع بالأصل» وانظر ما تركيبه=

(١٨) هُمْ أَكْذَبُ الناسِ فِى قَوْلٍ وَفِى عَمَلٍ
وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ جَهْــلًا فِى تَوَثُّبِــهِ

(١٩) وَهُمْ أَقَلُّ الْوَرَىٰ عَقْلًا وَأَغْفَلُهُمْ
عَنْ كُلِّ خَيْـرٍ وَأَبْطَا عَن تَكَسُّبِــهِ

(٢٠) وَكُلَّ عَيْبٍ يَرُدُّ الشَّرْعُ قَدْ جَمَعُوْا
هُمْ جُنْـدُ إِبْلِيْسَ بَلْ فُرْسانُ مِقْنَبِـهِ

وما معناه».

واكتفى الدكتور محمد رشاد سالم ـــ رحمه الله ـــ بقوله «كذا بالأصل».

خبّ: خداع بلوم وبخل. والمعنى:

عندى والله أعلم ـــ أن الكذب في العلم أشد أنواع الخداع وأعيبها.

١٨ ـــ راجع شرح البيت رقم (٢٠) الآتى.

١٩ ـــ أبطأ: ضد «أسرع».

٢٠ ـــ المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاث مئة».

(فـــائـــدة): قال ابن المبارك:

وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والحيل لأهل الرأى، وسوء الرأى والتدبير لآل أبى فلان» مختصر الصواعق المرسلة: (٢ /٣٥٩) والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى (٤٨٠ ـــ طبعة السلفية).

وذكر شيخ الإسلام بعض النقول عن الشعبى وغيره، فقال:

«وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: حوارى عيسى.

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لاتقوم لهم راية ولايثبت لهم قدم، ولا مجمع لهم ولاتجاب لهم دعوة. دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله» (منهاج السنة» ١ /٦ ـــ ٧)

(٢١) وَقُلْتَ أَيْضاً وَشَرُّ القَوْلِ اَبْعَدُهُ

عَنِ الصَّوَابِ فَرُمْ تَحْصِيْلَ أَصْوَبِهِ

(٢٢) وَالنَّاسُ فِيْ غُنْيَةٍ عَن رَدِّ إِفْكِهِمُ*

لِهُجْنَةِ الرفضِ وَاسْتِقْبَاحِ مَذْهَبِهِ

(٢٣) أَكُلُّ مَا ظَهَرَتْ فِيْ النَّاسِ هُجْنَتُهُ

يَصْيْرُ أَهْلًا لِإهْمَالِ النَّكِيْرِ بِهِ

= وقال الشعبى: «لو كانت الشيعة من البهائم، لكانوا حمراً، ولوكانت من الطير لكانوا رخماً» (منهاج السنة: ١ /٧) (الرخم طائر يطلى بمرارته لسمّ الحية وغيرها....)

وقال الأعمش:

«تروح إلينا جنّى فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟

فقال: الأرز. قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا.

فقلت: فيكم من هذه الأهواء التى فينا؟

قال : نعم :

فقلت: فما الرافضة فيكم؟

قال: شرنا.»

(قال ابن كثير: عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزى، فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش» راجع تفسير ابن كثير ٤ /٤٣١ — سورة الجن، دار الفكر، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ)

وقال الإمام ابن القيم في الروافض بأنهم أخبث الحيوان:

وكذا ك اعداؤ الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان

(النونية لابن القيم مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس: ١ /٤٠٤ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ)

٢١ — رم: واقصد.

٢٢ — هذا البيت من قصيدة السبكى.

الهجنة: القبح.

(٢٤) وَاللهِ لَا غُنْيَةٌ عَن رَدِّ إِفْكِهِـمِ
بَلْ رَدُّهُ وَاجِبٌ أَعْظِـمْ بِمُوْجِبِـــهِ

(٢٥) أَيُتْرَكُـوْنَ يَسُبُّونَ الصَّحَابَـةَ وَالْـ
إِسْلَامُ يَخْتَــالُ زَهْــواً فِيْ تَصَلُّبِــهِ

(٢٦) هَذَا مَقَالٌ شَنِيْعٌ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ
بِهِ وَلَا رَهْـطُ جَهْـمٍ فِيْ تَحَزُّبِــهِ

---

٢٤ ــ أعظم بموجبه: ما أعظم هذا الموجب.

٢٥ ــ يختال زهوا في تصلبه: أى حسنا وجمالامع كمال قوته وشوكته.

٢٦ ــ رهط: من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة ...

جهم: هو ابن صفوان.

* قال الذهبى:

«جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندى الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئا ولكنه زرع شرا عظيما.» (ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ١ /٤٢٦) = تحقيق على البجاوى، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ)

* وقال على بن محمد الجرجانى:

«الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان. قالوا: لاقدرة للعبد أصلا لامؤثرة ولاكاسبة. بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لايبقى موجود سوى الله تعالى. (التعريفات للجرجانى ص ٨٠ = دارالكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ)

* «ولما كان مذهب الجهم في التعطيل والجبر أصلا تفرع عنه كثير من فرق الضلال كالمعتزلة والفلاسفة ومتأخرى الأشعرية والقرامطة الباطنية وملاحدة الصوفية القائلين بالحلول والوحدة، كابن عربى وابن سبعين وأضرابهما قال الإمام ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى   جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السماوات العلى   والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الرب جل جلالُه   وقضوا له بالخلق والحدثان

(النونية : ٢٦ ــ ٢٧)

(٢٧) وَاللهِ لَوْلَا سُيوفٌ مِنْ أَئِمَّتِنَـا

فِىْ كَاهِلِ الرَّفْضِ لَا تُلْوىٰ وَمَنْكِبِـهِ

(٢٨) لَأَضْحَتِ السُّنَّةُ الْغَرَّاءُ دَائِـرَةً

بَيْـنَ الْبَرِيَّـةِ كَالْعَنْقَـا وَأَغْرَبِـهِ

(٢٩) وَقُلْتَ لِلرِّجْسِ لَمْ تَطْهُرْ خَلَائِقُهُ*

دَاعٍ إِلى الرَّفْضِ غَالٍ فِىْ تَعَصُّبِـهِ

(٣٠) لَقَدْ تَقَوَّلَ فِىْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ*

يَسْتَحْيِ مِمَّا افْتَراهُ غَيْـرُ مُنْجَبِـهِ

---

٢٧ — لاتلوى: لاترد.

٢٨ — العنقاء وأغربه [العنقاءُ الْمُغْرِبُ بالضمّ، وعنقاءُ مُغْرِبٌ، ومُغْرِبَةٌ، وَمُغْرِبٍ، مضافةً] طائر معروف الاسم لا الجسم، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه.

٢٩ — أشار إلى بيت السبكى: «وابن المطهر لم تطهر خلائقه» الخ.

«الرجس»: أراد به ابن المطهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا المصنف [أى ابن المطهر الرافضى] سمّى كتابه «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» وهو خليق بأن يسمّى «منهاج الندامة»، كما أن من ادعى الطهارة، وهو من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفاق، كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير.

ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غِلّ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيّين. ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيباً لمن بعدهم إلا الذين يقولون:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْلَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِىْ قُلُوْبِنَا غِلًّا لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوْفٌ رَّحِيْمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (منهاج السنة: ١ /٢١ — ٢٢ تحقيق الدكتور محمدرشاد سالم)

٣٠ — من أبيات السبكى.

(٣١) أَيسْكُتُ النَّاسُ عَنْ هٰذا وَدَعْوَتِهِ

إِلَى الضَّلَالَةِ وَاسْتِعْلَاءِ مَنْصِبِهِ

(٣٢) وَمَا تَقَوَّلَ فِيْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَمَا افْـ

ـتَرَاهُ فِيْهِمْ وَلَمْ يُرْجَمْ بِكَوْكَبِهِ

(٣٣) أَيُترَكُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ مُطَّرَحاً

وَالنَّهْيُ عَنْ مُنْكَرٍ مَا مَنْ يَقُوْلُ بِهِ

(٣٤) كَلَّا وَمَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ عَلٰى

وَجْهِ الثَّرىٰ وَتَعَالىٰ فِيْ تَحَجُّبِهِ

(٣٥) لَنَقْذِفَنَّ عَلىٰ بُطْلَانِ مَذْهَبِهِ

بِصَارِمِ الْحَقِّ مَسْلُوْلًا وَمِرْزَبِهِ

(٣٦) حَتَّى يَفِيْءَ إِلَى الْإِسْلَامِ عن كَثَبِ

وَيَتْرُكَ الْكُفْرَ مُقْصىً غَيْرَ مَكْثَبِهِ

(٣٧) تُقَدِّمُ الْيَوْمَ مِنْ أَصْحَابِنَا كُتُبٌ

رَدٌّ عَلَى الرَّفْضِ تَرْمِيْهِ بِأَشْهُبِهِ

= غير منجب: باطل، غير مختار.

٣١ ــ عن هذا ودعوته: أى ابن المطهر الحلى الرافضى.

٣٢ ــ بكوكبه: أى كوكب شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٣ ــ مطرحا: مرميا.

٣٤ ــ السبع الطباق: السماوات السبع.
وجه الثرى: وجه الأرض.

٣٥ ــ صارم الحق: سيفه.
مرزبّ: عصى من حديد.

٣٦ ــ مقصى غير مكثب: مبعدا غير قريب.

٣٧ ــ أشهب: جمع شهاب: هو شعلة من نارساطعة.

(مؤاخذات السبكي على شيخ الإسلام والردّ عليها)

(٣٨) وَلِابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَدٌّ عَلَيْهِ وَفَـىٰ *
بِمَـقْصِدِ الـرَّدِّ وَاسْتِيْفَـاءِ أَضْرُبِـهِ

(٣٩) كَمَا زَعَمْتَ، وَأَوْفَىٰ بِالْمَقَاصِدِ مَعْ
كَيْدِ الْحَسُوْدِ وَمَعْ إِرْغَـامِ أَرْنَبِـهِ

(٤٠) حُسْناً وَضَرَّتُهَا بِالْحُسْنِ شَاهِـدَةٌ
لَهَا وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا مَا شَهِدْتَّ بِـهِ

(٤١) وَقُلْتَ بَغْياً وَعَدْواً شَابَهُ حَسَدٌ
وَالشَّوْبُ يَظْهَرُ حِيْنـاً مِنْ مُشَوِّبِـهِ

(٤٢) لٰكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِيْنَ بِمَا *
يَشُوْبُـهُ كَدَرٌ فِيْ صَفْـوِ مَشْرَبِـهِ

(٤٣) يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهُوَ لَهُ *
حَثِـيْثُ سَيْـرٍ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِـهِ

---

٣٨ ــ من أبيات السبكي.
استيفاء أضربه: إعطاءه إياها حقها.

٣٩ ــ مع إرغام أرنبه: مع رغم أنفه. والأرنب: طرف الأنف.

٤٠ ــ ضرتها: أي المرأة، وهما الضرتان: زوجتا الرجل، كل واحدة منهما ضرة للأخرى.

٤١ ــ شابه: امتزجه.
والشوب يظهر ... الخ بمعنى: «يكاد المريب أن يقول خذوني»

٤٢ ــ من أبيات السبكي.
لكنه خلط: أراد به شيخ الإسلام.

٤٣ ــ من أبيات السبكي.
الحشو لغة: ملء الوسادة وغيرها بشيء وما يجعل فيها حشو أيضا. =

• • • • • • • •

= وفي الاصطلاح: عبارة عن الزائد الذى لاطائل تحته».

والحثيث: السريع.

يحاول الحشو: يتهم السبكى شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. ونعوذ بالله من ذلك.

وإليكم ما قال شيخ الإسلام نفسه في توضيح هذه المسألة:

«وقد قيل: أول من قال في الإسلام أن القديم جسم هو: هشام ابن الحكم. كما أن أول من أظهر في الإسلام نفى الجسم هو الجهم بن صفوان».

وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور، فإن مرض التعطيل شر من مرض التجسيم، وإنما كان السلف يذمون المشبهة» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٣ /١٥٤ طبعة الرياض)

وقال بعد ما فصل الكلام في الجهة والحيز:

فبهذا التفصيل يزول الاشتباه والتضليل، وإلافكل من نفى شيئا من الأسماء والصفات سمى من أثبت ذلك مجسما قائلا بالتحيز والجهة (مجموع فتاواه: ٦ /٤٠) ونرى أن كتابات شيخ الإسلام مليئة بالرد على المجسمة والنفاة (فتاواه: ١٧ /٢٩٦)

وبين أن الفرقة الناجية ــ أهل السنة والجماعة ــ وسط في (باب صفات الله سبحانه وتعالى) بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة (المصدر المذكور» ٣ /١٤١ = العقيدة الواسطية)

ومع هذا، لم يتوان خصومه من المعاصرين (أمثال التقى السبكى، وأحمد الكلابى، وابن بطوطة، وأبى حيان النحوى،وأبي بكر الحصنى) وغيرهم من المتأخرين (مثل الكوثرى وأذياله) في أنْ يرموه بالحشو والتجسيم والتشبيه وأمرهم كما قال الشاعر:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا شرا أذيع وإن لم يعلموا كذبوا

ومعلوم أن أهل الباطل من المبتدعة قديما وحديثا ــ سموا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث. كما ذكره ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث).

والشيخ عبدالقادر الجيلانى في (غنية الطالبين)، والشاه أحمد بن عبدالرحيم المعروف بولى الله الدهلوى في (حجة الله البالغة). والسيد محمود الآلوسى في شرحه لكتاب (مسائل الجاهلية للإمام ابن عبدالوهاب) وقال الإمام ابن القيم ــ وهو يبين تاريخ تلقيبهم أهل السنة بالحشوية: =

= ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآنِ
حشوية يعنون حشوا في الوجو ... د وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأنّ «في » للظرف والر ... حمن محوى بظرف مكان
لاتبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبّاً لذى البهتان
بل قولهم إن السماوات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان
أترونه المحصور بعد أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لايخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ ... مختار حشوا فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية ... صرف بلاجحد ولاكتمان
تدرون من سمّت شيوخكمُ بها ... ذا الاسم فى الماضى من الأزمان
سمى به عمرو لعبد الله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرا كما ورثوا لعبـ ... دالله أنى يستوى الإرثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ ... ـو مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من ... بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوى لاأهل الحديـ ... ـث أئمة الإسلام والإيمان

(النونية: ١ /٣٧٠ ــ ٣٧٢)

(عمرو بن عبيد رأس المعتزلة هو الذى سمى عبدالله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ حشويا) وقال شيخ الإسلام ردا على نفاة الصفات:

«وأما ما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل،وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال». (فتاواه ٣ /٢٣)

وراجع مفصلا عن الحشو والتجسيم في كتاب: «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ ــ ٢١٩) لكاتب هذه السطور (طبع مجمع البحوث العلمية الإسلامية بنيودلهى ١٩٩٢م)

(٤٤) يَرَىٰ حَوَادِثَ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِهَـا*

فِي اللهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَـنُّ بِـهِ

(٤٥) وَاللهِ مَا قَالَ أَهْلُ الرَّفْضِ إِذْ خَصَمُوا

هٰذَا الْمَقَالَ وَقَـدْ صِيبُـوْا بِصَيِّبِـهِ

(٤٦) هٰذِى تَصَانِيْفُ هَذَا الشَّيْخِ سَائِرَةٌ

بِشَرْقِ ذَا الْكَوْنِ لَا تَخْفَىٰ وَمَغْرِبِـهِ

(٤٧) صَفْوٌ بِلَا كَدَرٍ طَابَتْ مَوَارِدُها

لَذِيْـذَةٌ كَجَنَـى نَحْـلٍ وَأَعْذَبِـهِ

---

٤٤ ــ من أبيات السبكى.

وفيه تمثيل لرأى الجهمية حيث قالوا: «أن دوام الحوادث ممتنع ... فيمتنع أن يكون البارى عز وجل لم يزل فاعلامتكلما بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادرا على ذلك لأن القدرة على الممتنع ممتنع. وهذا فاسد» (شرح العقيدة الطحاوية: ص ١٣٢ طبعة المكتب الإسلامى)

وسيأتى شيء من مسألة «إمكان وجود حوادث لا أوّل لها» في البيت رقم (٥٩) الآتى.

٤٥ ــ وقد صيبوا بصيِّبه: أصيبوا بمطره أى علمه.

٤٦ ــ تصانيف شيخ الإسلام مليئة بالرد على الحشوية والمجسمة والمشبهة،راجع على سبيل المثال:

مجموع فتاواه: (٣ /٥٠، ١٤١، ٤ /١٤٤ ــ ١٥٥، ٥ /٢٥٨، ٦ /٤٠، ١٣ /١٥٤، ١٧ /٢٩٦)، منهاج السنة النبوية. (٢ /٥٢٠ ــ ٥٢٢، ٥٥٥ ــ ٥٦٠ = تحقيق محمد رشاد سالم طبعة جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ) وشرح حديث النزول.

في هذه الكتب وغيرها من تصانيف شيخ الإسلام رد على مثل هذه الفرى.

فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

٤٧ ــ طابت مواردها: حسنت مواقعها.

جنى نحل: عسله.

(٤٨) دَلِيْلُهَـا الْآىُ وَالْأَخْبَـارُ سَاقَتُهَـا
وَالْعِلْـمُ يَعْـرِضُ فِيْهَا خَيْـلَ مَوْكِبِـــهِ
(٤٩) لٰكِنْ عُيُوْنُ الْعِدَا تُبْدِى الْمَحَاسِنَ فِىْ
ثَوْبِ الْـمَسَاوِىءِ فَاعْـجَبْ مِنْ تَقَلُّبِـهِ
(٥٠) انْظُرْ بِعَيْنِ الرِّضَا تُبْصِرْ بِهَا عَجَباً
فَأَعْيُـنُ السُّخْـطِ عُمْـىٌ عَنْ تَعَجُّبِـهِ

(تهمة الحشو والتجسيم والردّ عليها)

(٥١) وَسَمْتَ بِالْحَشْوِ أَهْلَ الْحَقِّ إِذْ مَلَأُوْا
وَظَائِـــفَ الْعِلْـــمِ مِنْ قَوْلٍ بِأَطْيَبِـــهِ
(٥٢) قَوْمٌ أَتَاهُمْ صَحِيْحُ النَّقْلِ فَاتَّبَعُوْا
سَبِيْلَـــهُ وَحَمَـــوْهُ مِنْ مُكَذِّبِـــهِ

---

٤٨ ــ الآى: الآيات. والأخبار ساقتها: مؤخرتها.

٤٩ ــ بمعنى:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

٥١ ــ وسمت بالحشو: اتهمت شيخ الإسلام به.

وقد تقدم في البيت رقم (٤٣) ماله وما عليه.

٥٢ ــ قال الإمام ابن القيم بمعناه:

ما ذنبهم والله إلاأنهم أخـــذوا بوحـــى الله والفرقـــان

(٥٣) وَأَثْبَتُوْا لِإِلٰهِ الْعَرْشِ مَا ثَبَتَتْ
فِيْهِ النُّقُوْلُ بِلا شِبْهٍ يُقَاسُ بِهِ

(٥٤) فَرَامَ بَعْضُ أُولِى التَّعْطِيْلِ دَحْضَهُمُ
فَآبَ مِنْ قَصْدِهِ الْأَدْنٰى بِأَخْيَبِهِ

(٥٥) فَكُلُّ مَنْ قُصِّرَتْ فِى الْعِلْمِ رُتْبَتُهُ
وَقَلَّ دِيْناً تَجَرَّا فِى تَوَثُّبِهِ

---

٥٣ ـــ النقول: نصوص الكتاب والسنة. وقال الناظم في «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد»:

أقــرّ بأن الله جلّ جلالُــه ... تعالى عن التشبيه والوصف والحصْرِ
سميع بصير ليس شيء كمثله ... كما جاء في القرآن إن كنت من تدرى
فسبحانــه من مالك متكبِّــر ... تفرّد دون الخلق بالعزِّ والْقَهْرِ
وينـزل لاتكييـف لى في نزوله ... تعالى سما الدنيا يقول: سلوا سترى
وذلك إذ يبقى من الليل ثلثه ... كذلك حتى يفصل الليل بالفجر
وربّى كما قد جاء في قوله: «استوى ... على العرش»، أما كيف ذاك فلا أدرى
ومذهبنا: لاكيف لامثل، لالما؟ ... بالإقرار والإمرار من غير مافسْرِ

٥٤ ـــ أولى التعطيل: الذين ينفون صفات الله تعالى.
دحضهم: إبطالهم. وآب: رجع.
وقال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ:

والله ما قال امرؤ، منـا بأن ... الله جسم يا أولى البهتـان
والله يعلم أننا في وصفـه ... لم نعد ما قد قال في القرآن
أو قاله أيضا رسول الله فهـ ... و الصادق المصدوق بالبرهـان
أو قالـه أصحابه من بعـده ... فهـم النجوم مطالـع الإيمـان
سموه تجسيمـا وتشبيها فلسـ ... نا جاحديـه لذلك الهذيـان

(النونية: ١ /٣٧٤)

٥٥ ـــ قلّ دينا: وفي الأُصل: «دنيا» وكذا في طبعة الرياض. والصواب ماأثبتناه.
تجرأ في توثّبه: استيلائه ظلما وعدوانا.

(٥٦) فَأَحْمَدُ الْمُصْطَفٰى عُودِىْ وَقِيْلَ لَهُ
مُذَمَّـــــمٌ وَتَغَالَـــوْا فِىْ تَجَنُّبِـــــهِ

(٥٧) وَقِيْلَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونُ أَوْ رَجُلٌ
مُعَلَّـــمٌ، كَاهِـــنٌ يَسْمُـــوْ بِأَكْعُبِـــهِ

(٥٨) لَوْ كَانَ الِاسْمُ يَشِيْنُ الْفِعْلَ فِىْ رَجُلٍ
لَشَانَ خَيْـــرَ الْبَرَايَـــا مِنْ مُلَقِّبِـــــهِ

٥٦ ــ قال الشـــاعـــر:

قيـــل إن الإلـــه ذو ولـــــد وقيل إن الرسول قد كهنـــا
مانجا الله والـــرسول معـــــا من لسان الورى فكيف أنـــا

٥٧ ــ يسمو بأكعبه : جمع الكعب، هو العظم الناشز فوق القدم. وكذا الكعب ما يلعب به.

أى يسمو بألاعيبه وأوهامه.

وقيل: «ساحر.....» إلخ:

ولقد ردّ الله تعالى على الكفار في تلقيبهم النبى ﷺ بمثل هذه الألقاب فقال سبحانه: ﴿كَذلِكَ مَا أَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا قَالُوْا سَاحِرٌ أَوْمَجْنُوْنٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَ﴾ [الذاريات، ٥٢ ــ ٥٣]

وقال جل وعلا: ﴿ثم تَوَلَّوْا عَنْه وَقَالُوْا مُعَلَّمٌ مَّجْنُوْنٌ﴾ [الدخان: ١٤]

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ ولامَجْنُوْنٍ.اَمْ يَقُوْلُوْنَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُوْنِ﴾ [الطور: ٢٩ ــ ٣٠]

٥٨ ــ يشين : يعيب.

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

تجد المعطـــل لاعنـــا لمجسم ومشبـــه لله بالإنســـــان
والله يصرف ذاك عن أهل الهدى كمحمـــد ومـــذمم إســـــان
هم يشتمـون مذَمَّمـــاً ومحمـــد عن شتمهم في معزل وصيـان =

(قضية إمكان حوادث لا أوّل لها)

(٥٩) أَمَّا حوادثُ لَا مَبْدَا لأَوّلِهَا
فَذَاكَ مِنْ أَغْرَبِ الْمَحْكِيْ وَأَعْجَبِهِ

= صان الإله محمدا عن شتمهم — في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعـ — طل للمشبه هكـذا الإرثـا ن
والسبّ مرجعه إليهم إذ هـم — أهل لكل مذمـة وهـوان
وكذا المعطل يلعن اسم مشبّهٍ — واسم الموحد في حمى الرحمن
(النونية: ١ /٤٠٨)

٥٩ ـ أما حوادث لا مبدأ لأوّلها.

فقد حصل لغط كثير في هذه المسألة بين الطوائف، فجلّاها شيخ الإسلام في عدد من كتبه. وبين مذهب أهل السنة والحديث، مع الردّ على آراء الفلاسفة والمتكلمين. ورماه خصومه بأن القول بإمكان «وجود حوادث لا أول لها» يؤدى إلى التسلسل الممتنع والدور الممتنع، ويؤدّى إلى القول بقدم العالم، فاتهموه بشىء هو باطل عندهم اتباعا لمذهب أهل الكلام المذموم وتمسكهم بآرائهم، ولكنه حق عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة. فصدع بالحق، ولم يخف في الله لومة لائم، لأن المسألة وثيقة الصلة بإثبات صفات الله تعالى.

قضية وجود حوادث لاأول لها:

قال شيخ الإسلام ماملخصه:
«فيه ثلاثة أقوال:
* قيل: يجوز مطلقا ... ولكن المسلمين وسائر أهل الملل يقولون: إن كل ماسوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن. [وهذا أصح الأقوال]
وقيل: لايجوز، لا في الماضى ولا في المستقبل، وهو قول جهم وأبى الهذيل العلّاف (وهذا أضعف الأقوال)
* وقيل: يجوز في المستقبل دون الماضى. وهو قول أكثر أتباع جهم وأبى الهذيل من =

• • • • • • • • • •

= الجهمية، والمعتزلة والأشعرية، والكرامية، ومن وافقهم» (الصفدية: ١ /١٠ ــ ١١. تحقيق محمد رشاد سالم طبعة الرياض ١٣٩٦ هـ، ومنهاج السنة: ١ /٤٣٧ ــ ٤٣٨، طبعة جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ)

*** هذا القول لايؤدى إلى التسلسل والدور:**

ولقد ذكر شيخ الإسلام أن القول بوجود حوادث لا أول لها لايؤدى إلى التسلسل والدور.

قال ما ملخصه:

«الدور نوعان:

(أحدهما): الدور القبلي السبقي: ممتنع باتفاق العلماء. مثل أن يقال لايكون هذا إلا بعد ذاك، ولا يكون ذاك إلا بعد هذا ... فإن الشيء لايكون قبل كونه، ولا يتأخر كونه عن كونه.

(والثاني): الدور المعي الاقتراني: مثل أن يقال: لايكون هذا إلا مع ذاك لاقبله ولابعده. فهذا جائز، كما إذا قيل: لاتكون الأبوّة إلا مع البنوّة، وقيل: إن صفات الرب اللازمة له لاتكون إلا مع ذاته، وعلمه مع حياته، وقدرته مع علمه، ونحو ذلك» (الصفدية: ١ /٥٢ ــ ٥٤)

وقسم شارح الطحاوية (ص ١٣٥) التسلسل إلى واجب، وممتنع، وممكن.
فقال ما مخلصه:

* فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته

* والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد ... وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فانه لم يزل متكلما إذا شاء....

*وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في معلولاته من هذا الطرف كما تسلسل في طرف الأبد. فإنه إذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلما، وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لايفعل، ولايلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كلّ فرد من مخلوقاته تقدما لاأول له، فلكل =

= مخلوق أوّل، والخالق سبحانه لا أوّل له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن»

هذا القول لايؤدى إلى القول بقدم العالم:

إن خصوم شيخ الإسلام قد يلزمونه ـــ لأجل قوله بإمكان حوادث لا أوّل لها ـــ بما لايلزم من القول بقدم العالم.

ولقد ردّ شيخ الإسلام في عديد من كتبه، على هذا الفكر الفلسفى الملحد وكفّر من قال بقدم العالم بقوله:

«ثم يقال لهؤلا: إن كنتم تقولون بقدم السماوات والأرض ودوامهما، فهذا كفر، وهو قول بقدم العالم، وإنكار انفطار السماوات والأرض وانشقاقهما.

وإن كنتم تقولون بحدوثهما، فكيف كان قبل خلقهما؟ هل كان منتشرا متفرقا معدوما ثم لما خلقهما صار موجودا مجتمعا؟

هل يقول هذا عاقل؟

فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر مع غاية الجهل والضلال، فاختاروا أيهما شئتم» (مجموع فتاواه: ٢ /١٨٨)

وفصّل شيخ الإسلام في هذه المسألة أيما تفصيل، وأثبت بالبراهين أنه لايؤدى إلى القول بقدم العالم. (منهاج السنة: ١ /٢٣٢ ـــ ٢٣٤، والصفدية: ١ /٥٤، وقال بعد التقرير والتفصيل: «وذلك لايدل على شيء من قدم العالم»)

القول بامتناع حوادث لا أول لها يؤدّى إلى التعطيل:

قال شارح «الطحاوية» (ص ١٣٨):

«والقول بأن الحوادث لها أوّل يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلا، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ماسوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم والفقر، والاحتياج وصف ذاتى لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غنى لذاته، والغنى وصف ذاتى لازم له سبحانه وتعالى». =

(٦٠) قَصَّرتَ فِيْ الْفَهْمِ فَاقْصرْ فِيْ الْكَلَامِ فَمَا
ذَا عُشُّكَ ادْرُجْ فَمَا صَقْرٌ كعُنْظُبِـهِ

(٦١) لَوْ قُلتَ قَالَ كَذَا ثُمَّ الجَوَابُ كَذَا
لَبَانَ مُخْطِـىءُ قَوْلٍ مِنْ مُصَوِّبِـهِ

(٦٢) أَجْمَلْتَ قولًا فَأَجْمَلْتُ الْجَوَابَ وَلَوْ
فَصَّلْتَ فَصَّلْتُ تِبْيَانـاً لَأَغْرَبِـهِ

(٦٣) إنْ قُلْتَ كَانَ وَلَا عِلْمٌ لَدَيْهِ وَلَا
كَلَامَ لَا قُدْرَةٌ أَصْلًا كَفَـرْتَ بِـهِ

= نفى حلول الحوادث بين الردّ والقبول:

وقال في شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٩ — ١٣٠):

«وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفى في علم الكلام المذموم، لم يَرِدْ نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال.

فان أريد بالنفى أنه سبحانه لايحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لايحدث له وصف متجدد لم يكن — فهذا نفى صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الأختيارية من أنه لايفعل ما يريد، ولايتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى — لا كاحد من الورى — ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفى باطل».

(راجع للتفصيل في هذه المسألة كتاب؟ «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث «إمكان وجود حوادث لا أول لها) (٢٢٠ — ٢٤٥).

٦٠ — عشك: موضع الطائر المصنوع من دقاق الحطب في أفنان الشجر.

ماذا عشك ادرج: امض ليس لك فيه حق، كما يقال: «ليس بعشك فادرجى»

العنظب: الجراد الضخم، أو الذكر الأصفر منه.

٦٣ — نفت الجهمية المعطلة عن الله تعالى صفاته العليا، قال الإمام ابن القيم:

ونفـوا كلام الـرب جل جلالـه وقضوا له بالخلـــق والحدثـــان =

(٦٤) أَوْ قُلْتَ أَحْدَثَهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا

فِيْ حَقِّهِ سَمْتُ نَقْصٍ مَا احْتَجَجْتَ بِهِ

(٦٥) وَكَيْفَ يُوْجِدُهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا

مِنْهُ أَيَقْدِرُ مَيْتٌ رَفْعَ مَنْكِبِهِ

(٦٦) أَوْ قُلْتَ فِعْلُ اخْتِيَارٍ مِنْهُ مُمْتَنِعٌ

ضَاهَيْتَ قَوْلَ امْرِىءٍ مُغْوٍ بِأَنصُبِهِ

= قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان

وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان

كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان

وحياته هى نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ... القسريُّ يوم ذبائح القربان

إذا قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدانى

شَكَرَ الضحيةَ كلُّ صاحبِ سنةٍ ... لله درّك من أخى قربان

(النونية: ١ /٢٦ ــ ٢٩)

٦٤ ــ سَمْت: صفة.

«يلزم على هذا القول من الفساد أن الله عز وجل لم يزل معطلا عن الفعل أو غير قادر عليه ثمّ صار فاعلا وقادرا من غير تجدد سبب أصلا أوجب له القدرة والفعل» (شرح النونية: ١ /٣٥)

٦٦ ــ أنصب: جمع النصب. حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها، ويذبح لغير الله عندها.

ضاهيت: شاكلت، وشابهت.

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ في جهم بن صفوان:

وقضى بأن الله كان معطّلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان

ثم استحال وصار مقدورا له ... من غير أمر قام بالديَّانِ

بل حاله سبحانه في ذاته ... قبل الحدوث وبعدها سيانِ

(النونية: ١ /٣٤)

(٦٧) وَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِ الْفِعْلِ مُتَّصِفاً
وَبِالْكَـــلَامِ بَعِيْـــداً فِيْ تَقَرُّبِـــهِ

---

٦٧ ــ قال شارح «الطحاوية»:

«أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل،ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته سبحانه صفات الكمال، فقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده.

ولايرد على هذه، صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها: كالخلق والتصوير، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط، والطيّ، والاستواء، والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب، والرضى ونحو ذلك عما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ــ وإن كنا لاندرك كنهه وحقيقته التى هى تأويله، ولا ندخل في ذلك متأوّلين بآرائنا، ولا متوهّمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك ــ رضى الله عنه ــ: لما سئل عن قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) (الأعراف: ٥٤) وغيرها، كيف استوى؟

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول (وتتمته: والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: «إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» (البخارى مع الفتح: ٦ /٣٧١: ومسلم: الحديث رقم ١٩٤ عن أبى هريرة رضى الله عنه).

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن. ألاترى أن من تكلم اليوم، وكان متكلما بالأمس لايقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفةٍ كالصغر والخرس، ثم تكلّم، يقال: حدث له الكلام.

فالساكت لغير آفةٍ يسمىّ متكلما بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء. وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل.

وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ولايخرج عن كونه كاتبا فى حال عدم مباشرته الكتابة ...» (شرح العقيدة الطحاوية: ١٢٧ ــ ١٢٨)

(٦٨) سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مَا شَاءَ يَفْعَلُهُ
فِيْ كُلِّ مَا زَمَـــنٍ مَا مِنْ مُعَقِّبِــــهِ

(٦٩) نوعُ الكلام كذا نوعُ الفِعَالِ قَدِيْـ
ـمُ لَا الْمُعَيَّـــنُ مِنْــــهُ فِيْ تَرَتُّبِــــهِ

(٧٠) وَلَيْسَ يَفْهَمُ ذُوْ عَقْلٍ مُقَارَنَةَ الْـ
ـمَفْعُوْلِ مَعْ فَاعِلٍ فِيْ نَفْسِ مَنْصِبِـهِ

(٧١) يُحِبُّ يُبْغِضُ يَرْضىٰ ثُمَّ يَغْضَبُ ذَا
مِن وَصْفِهِ، أَرْضِهِ، بُعْـــداً لِمُغْضِبِـــهِ

(٧٢) وَالْخَلْقُ لَيْسَ هُوَ الْمَخْلُوْق تَحْسَبُهُ
بَلْ مَصْدَرٌ قَائِـمٌ بالنَّــفْسِ فَادْرِبِــــهِ

(٧٣) وَقَـوْلُ كُنْ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْمُكَـوَّنِ وَالصَّـ
ـغِيْـــرُ يَعْـــرِفُ هٰذَا مَعْ تَلَعُّبِـــــهِ

---

٦٨ ـــ ما من معقبه: ما من شيء جاء بعقبه. وليس أحد يؤاخذ عليه سبحانه وتعالى.

٦٩ ـــ قال شارح الطحاوية (ص ١١٢ ــ ١١٣ ط ثامنة ١٤٠٤ هـ):

«وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التى نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره ... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لافيما لم يسبقه عدم ...

أما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، ومنهم ابن حزم ...»

٧٣ ـــ وقد ردّ الإمام ابن القيم على نافي صفات الله تعالى قائلا:

فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ شبيـــه والتــــجسيم بالإنسان
ووقــعت فى تشبيهه بالنــاقصا ت الجامـدات وذا من الخذلان
الله أكبر هُتِّكَتْ أستاركـم حتى غدوتم ضحكـة الصبيـان

(النونية: ١ /١٣٩)

(٧٤) فَالْمُصْطَفىٰ قَالَ كَانَ اللهُ قَبْلُ وَلَا
شَيْءٌ سِوَاهُ تَعَالَىٰ فِيْ تَحَجُّبِهِ

(مؤاخذات أخرى والردّ عليها)

(٧٥) وَقُلْتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا قَوْلَ ذِي حَسَدٍ
أَخْطَا الْهُدىٰ وَتَجَارىٰ فِيْ تَنَكُّبِهِ
(٧٦) لَوْ كَانَ حَيًّا يَرىٰ قَوْلِيْ وَيَسْمَعُهُ*
رَدَدتُّ مَا قَالَ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهِ
(٧٧) كَمَا رَدَدتُّ عَلَيْهِ فِيْ الطَّلَاقِ وَفِيْ*
تَرْكِ الزِّيَارَةِ أَقْفُوْ إِثْرَ سَبْسَبِهِ

---

٧٤ — أشار به إلى حديث عمران بن حصين — رضي الله عنه — الذى رواه عن النبى ﷺ، وفيه:
«قالوا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر. فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله....» (البخارى: ٦ /٢٨٦)
٧٥ — تجارىٰ في تنكّبه: تسابق في عدوله عنه.
٧٦ — من أبيات السبكى، وكذا البيت الذى يليه.
لو كان: أى شيخ الإسلام.
٧٧ — ألّف التقى السبكى عدة رسائل في مسألة الطلاق رداً على شيخ الإسلام، ومنها: «الدرّة المضيئة في الرد على ابن تيمية» و «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق» و «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق» / وقد فصّل شيخ الإسلام القول في هذه المسائل في عديد من كتبه. راجع البيت رقم (٨٦) الآتى. وكذالك ردّ عليه السبكى في مسألة «شد الرحال» في كتابه «شفاء السقام في زيارة خيرالانام» فردّ =

(٧٨) فَضَحْتَ نَفْسَكَ فِىْ هٰذَا الْمَقَالِ وَلَمْ
تَشْعُرْ وَعِجْتَ عَنِ الْمَرْعىٰ وَأَخْصَبِهِ

(٧٩) عَرَّفْتَنَا أَنَّ مَاقَدْ قُلْتَ لَيْسَ لِوَجْـ
ـهِ اللهِ بَلْ لِلْمِرَا أَقْبِحْ بِمَنْصِبِهِ

(٨٠) إذْ لَوْ أَرَدْتَ بَيَانَ الْحَقِّ قُلْتَ بِهِ
فِىْ مَحْضَرِ الْخَصْمِ إمَّا فِىْ مُغَيَّبِهِ

(٨١) مَا ذَاكَ صَدُّكَ بَلْ خَوْفُ الْجَوَابِ كَمَا
أُجِبْتَ قَبْلُ بِسَهْمٍ مِنْ مُصَوِّبِهِ

= عليه ابن عبد الهادى فى كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكى»، وألّف شيخ الإسلام عدة كتب في الموضوع راجع البيت (رقم ٩٢) وراجع ردّ الناظم على السبكى في مسألة الطلاق، في البيت رقم (٨٥) الآتى وما بعده. وفي مسألة شد الرحال، في البيت رقم (٩٢) وما بعده من الأبيات.

أقفو: أتتبّع.

إثر: بعد.

السبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

أقفو إثر سبسبه: أتتبّع غرائبه وشوارده.

٧٨ — عِجْتَ: انحرفت عنه، ولم ترض به.

٧٩ — للمراء: الخصام

أقبح بمنصبه: ما أقبح منصبه.

٨٠ — محضر الخصم: حضور المخاصم.

٨١ — صدك: منعك.

(٨٢) ذَا شَأْنُ مَنْ لَمْ يُجَرِّدْ صَارِماً ذَكَراً
مَاضِي الْغِرَارَيْنِ عَضْباً مِنْ مُجَرِّبِـــهِ

(٨٣) لٰكِنْ إِذَا الْأَسَدُ الضِّرْغَامُ غَابَ عَنِ الْـ
ـعَرِيْنِ تَسْمَعُ فِيْـهِ ضَبْـحَ ثَعْلَبِـهِ

(٨٤) كَذَا الْجَبَانُ خَلَا فِيْ الْبَرِّ صَاحَ أَلَا
مُبَـــارِزٌ وَتَغَالَـــى فِيْ تَوَثُّبِــــهِ

(مسألة الطلقات الثلاث)

(٨٥) وَلَوْ سَمِعْتَ جَوَابَ الرَّدِ رُحْتَ فَتىً
مِنْ أَعْظَمِ الْخَلْقِ عَنْ جُرْمٍ وَأَتْوَبِـهِ

---

٨٢ ــ ماضي الغرارين: ماضي الحدّين. الغرار: حد الرمح والسهم والسيف.
عَضباً: قاطعا.

٨٣ ــ العرين: مأوى الأسد.
ضبح: ضباح: صوت الثعلب (في الأصل: «ضح»، والصواب ما أُثبِتَ).

٨٤ ــ خلا: انفرد بنفسه.
مبارز: مقاتل.
تغالى: بالغ في ظلمه وعدوانه.
ومثله قول الشاعر:
وجبان قلب أعزل قد رام يأ سر فارساً شاكي السلاح بهزّه

٨٥ ــ من أعظم الخلق: كذا في الأصل، وفي الهامش: «ولعل الوجه من أبعد الخلق كما هو ظاهر».

(٨٦) وَقَدْ كَفَانِيْ أَبُو الْعَبَّاسِ كُلْفَتَهُ
كَذَا أَرَحْتُ لِسَانِـي غَيْـرَ مُتْعِبِـهِ

---

٨٦ — أبو العباس: كنية شيخ الإسلام.

لقد كانت هناك اختيارات فقهية لشيخ الإسلام جرت لأجل الإفتاء بها محن وقلاقل.

ومنها:

قوله: «بالتكفير في الحلف بالطلاق»

وأن «الطلاق الثلاث لايقع إلا واحدة»

وأن «الطلاق المحرم لايقع»

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة، ومنها:

* «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان»
* «الفرق المبين بين الطلاق واليمين»
* «قاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة»
* «قاعدة في التقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة»
* «التفصيل بين التكفير والتحليل»
* «اللمعة»
* «مجموع فتاواه» (المجلد الثالث والثلاثون = الطلاق)

توضح هذه الكتب والرسائل والفتاوى والقواعد والأجوبة مذهب شيخ الإسلام في مسائل الطلاق المذكورة المختلف فيها، في ضوء الأدلة من جهة، وتردّ على شبهات معاصريه حولها من جهة أخرى.

من أراد التفصيل في الموضوع فليراجع «مجموع فتاواه» (٣٧ /٣٦١ — ٣٢٤ = الفهارس) لكشف المواضع التى تكلم فيها حول هذه المسائل.

وكتاب «شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق)

ولايفوتنى أن أذكر بهذه المناسبة ما تقدم في مقدمة التحقيق من تحول الملك (خدا بنده) من أهل السنة إلى مذهب الشيعة. وذلك بسبب مخالفة المفتى حديث النبى ﷺ في الطلاق الثلاث. واستغله ابن المطهر الحلّى، فأفتى حسب حديث النبى ﷺ، فحدث ما حدث. =

(٨٧) وَوَافَقَتْهُ سَرَاةُ النَّاسِ عَنْ كَثَبٍ
مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ أَوْ غَيْرِ مَذْهَبِهِ

(٨٨) مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْآيَاتُ شَاهِدَةٌ
لَهُمْ وَلِلْحَقِّ مِصْبَاحٌ يَبِينُ بِهِ

(٨٩) عِبْتَ الَّذِى قَالَ مَا فِيْهِ الْخِلَافُ مِنِ إِيْـ
ـقَاعِ الثَّلَاثِ وَلَوْ أَفْتَى بِأَغْرَبِهِ

= هذا هو جزاء من يخالف السنّة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾ [النور: ٦٣]

٨٧ ــ سراة الناس: أعلاهم وأفضلهم.

لقد وافق كبار العلماء في عصورهم، شيخ الإسلام في مسائل الطلاق. وأطال تلميذه النحرير ابن قيم الجوزية النفس في كتبه: «إغاثة اللهفان» و «زاد المعاد»، و «إعلام الموقعين» بما لا مزيد عليه.

وأيدهما من علماء السنة وفقهاء الحديث بعدهما: الإمام الشوكانى، وصديق حسن خان، وصاحب عون المعبود، وصاحب تحفة الأحوذى وغيرهم من متأخرى علماء الهند الأعلام.

ودافع عن شيخ الإسلام من الشعراء: أبو المظفر السرمرى (ناظم هذه القصيدة)، والعلامة أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعى اليمنى (وقصيدته تأتى بعد هذه القصيدة)، من المتقدمين. والشاعر الشهير معروف بن عبد الغنى الرصافى (١٣٦٤ هـ) من المتأخرين.

راجع كتاب «شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) لكاتب هذه السطور.

٨٨ ــ من أهل بغداد: راجع موافقة أهل بغداد وغيرهم شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال وغيرها في البيت (رقم ٩٢)

٨٩ ــ راجع مبحث الطلاق الثلاث بلفظ واحد في: «إغاثة اللهفان» (١/٢٨٣ ــ ٣٢٨) و «إعلام الموقعين» (٣/٤١ ــ ٦٣، و «زاد المعاد» ٤/٥١ ــ ٦٥) كلها لابن قيم الجوزية. وفيها تقرير لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمهما الله تعالى ــ في هذا الموضوع.

(٩٠) وَقُلْتَ تَنْكِحُ زَوْجاً غَيْرَهُ وَنِكَا
حُهَا مَعَ الْخُلْفِ باقٍ فِيْ تَذَبْذُبِهِ
(٩١) وَكَيْفَ تَنْكِحُ مَنْ لَمْ تَبْرَ عِصْمَتُهَا
بِلَا خِلَافٍ لِشَخْصٍ مَعْ تَجَنُّبِهِ

(مسألة شدّ الرحال إلى القبور)

(٩٢) وَفِيْ الزِّيَارَةِ لَمْ تُنْصِفْ رَدَدتَّ عَلَىٰ
مَا لَمْ يَقُلْهُ وَلَمْ تَمْرُر بِسَبْسَبِهِ

---

٩٠ — مع الخلف : مع الاختلاف.

٩١ — لم تبرأ عصمتها: مابرأت من ذمة زوجها. و «استبرأها» لم يدخلها حتى تحيض».

٩٢ — ولم تمرر بسبسبه: أشاربه إلى قول السبكى: «أقفو إثر سبسبه» في البيت رقم (٧٧) المتقدم آنفا.

لما تطرقت البدع إلى أوساط المسلمين: وبدأوا يعتقدون في المشاهد والقبور، والأضرحة والمزارات مالم ينزل الله به سلطانا، من شد الرحال إليها والاستغاثة بأهلها، صارت هذه القضية مفروغا من الكلام فيها عند العلماء، فضلاعن العامة من الناس، واعتبرت من القضايا الحساسة التى تستغل لإثارة غضب الجماهير ضد من يتكلم فيها.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية الذى أشرب قلبه بالإيمان الخالص، والعقيدة الصحيحة لما سئل عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة حينما كان في القاهرة، فردّ عليه ردا :مستنطا من الكتاب والسنة، ونهى عنه استدلالاً بحديث النبى ﷺ: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى». (البخاري: ٣ /٦٣، ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أبى هريرة — رضى الله عنه —)

فاستغل هذه الفتيا سنة ست وعشرين وسبعمائة، القاضى المالكى تقى الدين =

(٩٣) رَدًّا مُلَخَّصُهُ أَشْيَـاءُ أَذْكُرُهَـا
إِمَّا حَدِيْثٌ ضَعِيْفٌ عِنْـدَ مَطْلَبِـهِ

= الإخنائى (ـ ٧٥٠ هـ) بعد صدورها ببضع عشرة سنة، وزاد فيها ونقص ورماه بالتنقيص بمنزلة النبى ﷺ وحرض السلطان عليه تقرّبا إليه، وكسبا لعواطف الجماهير من الناس أيضا، وألّف رسالة أسماها «المقالة المرضية في الردّ على من ينكر الزيارة المحمدية» (مجموع فتاواه: ٢٧ /١٨٢)

فرد شيخ الإسلام على الإخنائى وغيره ممن رد عليه في هذه المسألة (مثل الزملكانى، والسبكى، وابن اخاج وغيرهم) في عديد من كتبه، ومنها:

* «الردّ على الإخنائى واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية».
* «المنسك القديم والجديد».
* «الجواب الباهر في زوار المقابر».

٩٣ ـ والعجب أن مخالفى شيخ الإسلام لم يستفيدوا من كتبه المليئة بالاستدلال بنصوص الكتاب والسنة على مراده الواضح بل ردّدوا ما عرفوا من الأدلة، وتناقلوها فيما بينهم من دون التأكد من صحتها وضعفها.

وبين العلامة ابن عبد الهادى في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكى» ما يؤيد ما ذهب إليه ناظم هذه القصيدة، من إهماله النظر في الحديث صحة وضعفا، وإلزامه شيخ الإسلام ما لايلزم، فقال:

«فإنى وقفت على الكتاب الذى ألّفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الإسلام ... في مسألة شد الرحال وإعمال المطىّ إلى القبور. وذكر أنه كان قد سمّاه «شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة»، ثم زعم أنه اختار أن يسميه «شفاء السقام في زيارة خيرالأنام»، فوجدت كتابه مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، أو تحريفها عن مواضعها، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة.

ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلا مماريا معجبا برأيه متبعا لهواه ...»
(الصارم المنكى: ١٨ ـ ١٩ = طبعة دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ)

وقال ابن عبدالهادى أيضا:

«ولقد أخبرنى الثقة أنه ألّف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلى القضاء بالشام بمدة

(٩٤) إمَّا صَحِيْحٌ وَلٰكِنْ لَا دَلِيْلَ بِهِ
عَلَى مُرادِكَ بَلْ هَدْمٌ لِمَنْصِبِهِ

(٩٥) إمَّا بِمُجْمَلِ لَفظٍ قَوْلُ خصْمِكَ مِنْ
أَقْوَى الْمَقَالِ بِهِ قَسْراً وَأَصْوَبِهِ

(٩٦) إمَّا بِلَا عِلْمَ لِيْ وَالْجَهْلُ غَايَتُهُ
أَيُعْذَرُ الشَّخْصُ فِيْمَا لَا أَحَاطَ بِهِ

(٩٧) فأَيُّ رَدٍّ لَعَمْرِيْ قَدْ رَدَدْتَّ وَمَا
ذَا قُلْتَ إِذْ قُلْتَ أَقْفُوْ إِثْرَ سَبْسَبِهِ

(٩٨) إنْ كَانَ عِنْدَكَ فِيْ شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى الْـ
ـقُبُوْرِ نَقْلٌ فَعَارِضْهُ بِمَوْكِبِهِ

(٩٩) لِيَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ أَخَا نَظَرٍ
خَالٍ مِنَ الْعِلْمِ نَاءٍ عَنْ تَعَصُّبِهِ

(١٠٠) أَنَّى وَذٰلِكَ كَالْعَنْقَاءِ فِيْ عَدَمٍ
وَكَالسَّمَنْدَلِ يُحْكَى مَعْ تَغَيُّبِهِ

= كبيرة ليتقرّب به القاضي الذى حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمله ولم ينفق عنده. وقد كان هذا القاضي (وهو ابن مخلوف) الذى جمع المعترض (أى السبكى) كتابه هذا لأجله ــ من أعداء الشيخ المشهورين» (المصدر المذكور: ص ٢١)

٩٥ ــ قسرا: قوة وشدة.

٩٦ ــ أيعذر الشخص: أيُقْبَل له عذر.

٩٩ ــ ناء: بعيد.

١٠٠ ــ السمندل: في «لسان العرب»: «أبو سعيد السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه. وقال غيره: هو دابة تدخل النار فلا تحرقه». =

(١٠١) مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا قَدْ قِيْلَ فِىْ مَثَلٍ
خَالِفْ لِتُعْـرَفَ مَشْهُـوْرٌ لِضُرَّبِـــهِ

(١٠٢) فَشَيْخُنَا بِصَرِيْحِ الْحَقِّ حُجَّتُهُ
وَنَقْـدُ نَقْـلِكَ زَيْـفٌ فِىْ تَقَلُّبِـــهِ

(١٠٣) فَمَنْ أَحَقُّ بِحَقِّ الْقَوْلِ إِنْ ظَهَرَ الْـ
إِنْصَافُ مُرْتَفِعـاً مِنْ فَوْقِ مَرْقَبِـــهِ

(مناقرات أخرى والردّ عليها)

(١٠٤) وَقُلْتَ مَا بَعْدَهُ لِلـرَّدِّ فائـدَةٌ*
هٰـذَا وَجَوْهَـرُهُ مِمَّـا أَضَنُّ بِــهِ

(١٠٥) مَاذَا الْكَلَامُ وَمَا مَعْنَاهُ قُلْهُ لَنَا.
أَمَـدْحٌ امْ هَجْوٌ اعْرِبْ عَنْ مُعَرَّبِـهِ

= وفي «القاموس»: «طائر في الهند لايحترق بالنار».

فالعنقاء، والسمندل، والغنجول طيور معروفة الأسماء مجهولة الأجسام،يضرب بها المثل في الغرابة والندرة والقلة.

١٠١ ــ لضرّبه: لأصنافه وأنواعه.

١٠٢ ــ فشيخنا: شيخ الإسلام حجته صريحة داحضة، وأدلتك ضعيفة مزيَّفة متقلّبة، كما تقدم آنفا في البيت رقم (٩٣).

١٠٣ ــ فوق مرقبه: علوه.

١٠٤ ــ وقلتَ: أشار الناظم إلى قول السبكى: «وبعده لاأرى للردّ فائدة» إلخ مما أضَنُّ بِهِ: مما يُخصُّ بى.

(١٠٦) مَا ذٰلِكَ الْجَوْهَرُ الْمَضْنُوْنُ وَيْحَكَ هَلْ
تَعْنِى بِهِ الشَّيْخَ أَوْ رَدّاً لِمَذْهَبِهِ

(١٠٧) فَإِنْ يَكُ الشَّيْخُ مَاذَا الطَّعْنُ فِيْهِ أَوِ الْـ
ـجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ نَوِّرْ بِغَيْهَبِهِ

(١٠٨) وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِىْ حَالَيْنِ: وَاحِدَةٍ*
لِقَطْعُ خَصْمٍ قَوِىٍّ فِىْ تَغَلُّبِهِ

(١٠٩) وَحَالَةٍ لِانْتِفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ*
هُدًى وَرِبْحٌ لَدَيْهِمْ فِىْ تَكَسُّبِهِ

(١١٠) كَتْمُ الْعُلُومِ حَرَامٌ لَا يَجُوْزُ لِذِىْ
عِلْمٍ يَضَنُّ بِعِلْمٍ عِنْدَ طُلَّبِهِ

(١١١) وَالرَّدُّ فِىْ الْحَالَةِ الْأُوْلٰى مَضَى هَدَراً
فَاسْتَدْرِكِ الْحَالَ الْأُخْرىٰ قَبْلَ مَذْهَبِهِ

---

١٠٦ — المضنون: الغالى.

١٠٧ — فإن يك الشيخ: إن عنيتَ به شيخ الإسلام، فقل ما هو الطعن فيه؟ وما هو الجواب عن أقواله وأدلته؟
غيهبه: ظلامه.

١٠٨ — هذا البيت، والذى يليه من أبيات السبكى.

١١٠ — كتم العلوم حرامٌ: روى الحاكم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (المستدرك على الصحيحين: ١ /١٠٢ وصححه، ووافقه الذهبى. وراجع صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى (رقم ٦٥١٧).
يضن بعلم: يخصُّ به نفسه دون طلبة العلم.

١١١ — الحالة الأولى: هى قطع الخصم وإفحامه. راجع البيت (رقم ١٠٨)
مضى هَدَراً: ذهبَ سدى.

=

(١١٢) فَقُلْ وَرُدَّ إِنِ اسْطَعْتَ السَّبِيْلَ إِذاً
وَانْفَعْ بِهِ النَّاسَ كَيْ تَحْظَى بِأَثْوَبِهِ

(١١٣) حَاشَا وَكَلَّا وَأَنَّى بِالسَّبِيْلِ إِلٰى
رَدِّ الصَّوَابِ وَقَدْ وَافَىٰ بِكِبْكِبِهِ

(١١٤) قُلْ كَيْ تَرَىٰ سُنَناً تَسْتَنُّ فِيْ سَنَنِ الْـ
ـهُدَىٰ تُنَكِّسُ جَهْماً عَنْ تَوَثُّبِهِ

(١١٥) وَرَهْطُهُ وَتُرِيْكَ الْحَقَّ أَظْهَرَ مِنْ
شَمْسِ الضُّحَىٰ وَهِلَالًا وَسْطَ غَيْهَبِهِ

(علم الكلام ماله وما عليه)

(١١٦) وَقُلْتَ إِذْ ضَاقَ نَهْجُ الذَّمِّ عَنْكَ لَهُ
مَا يُوْهِمُ الْغُمْرَ طَعْناً فِيْ جُوَيْنِبِهِ

(١١٧) وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِيْ عِلْمِ الْكَلَامِ هُدىً*
بَلْ بِدْعَةٌ وَضَلَالٌ فِيْ تَطَلُّبِهِ

= الحال الأخرى: هى انتقاع الناس، كما تقدم في البيت (رقم ١٠٩).

١١٢ — تحظى بأثوبه: تتمكن مما هو أكثر ثواباً.

١١٣ — كِبْكِبِهِ: جماعته.

١١٤ — سنن الهدى: نهجه، وجِهَتُه.
تنكّسُ جهماً: تقلبه رأساً على عقب في ظلمه واستيلائه.

١١٦ — الغُمْر: من لم يجرّب الأمر من الحاقدين.
جُوَيْنِب: تصغير الجانب.

١١٧ — من أبيات السبكي. =

(١١٨) أَ أَنْتَ أَمْ هُوَ رَدَّ الْمَنْطِقَ الْأَفِنَ الْـ
ـمُغْـوِىْ بِأَصْوَبِ مَنْقُـولٍ وَأَصْلَبِـهِ

(١١٩) فَالشَّيْخُ مَا احْتَجَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا
يُخَالِفُ النَّقْلَ بَلْ تَكْثِيْرُ مِقْنَبِـهِ

= علم الكلام: «علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام» (التعريفات للجرجاني ص ١٥٦)

والمذموم من علم الكلام ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنة.

وقال الناظم في «نهج الرشاد»:

لاخير في علم الكلام لأنه	خلاف كلام المصطفى الطاهر المطهر
أدلته لا من كتاب وسنة	بل من كلام الأخطل الفاجر العرّ
يدور على التعطيل لادَرّ درّه	بتمويه قول في المخارج مزور

١١٨ ــ الأفن: الذى يعجبك ولا خير فيه.

أصلبه: أقواه وأشده.

لقد أكثر شيخ الإسلام الردّ على المناطقة في عديد من مؤلفاته، وألّف كتاباً مستقلًا في مناقضة أصولهم وقواعدهم، أسماه «نقض المنطق» وهو مطبوع عدة طبعات مستقلًا، وكذا طبع في ضمن «مجموع فتاواه» أيضاً. وهو كتاب مهم جداً في بابه.

وقال الناظم في «نهج الرشاد»:

ويكفى سوائى أنه متمسك	بتعليم المنطق السيء الشر
عقيدته أن الكتاب وسنة النـ	ـبىّ معاً ليسا دليلا على أمر
ولكن دليل الأمر والنهى عنده	نتيجة أفكار على عقله يجرى
وذاك دليل في الشريعة باطل	لأنا عرفنا الله بالنقل لاالفكر
ومعرفة الرحمن بالعقل فرية	عليه وليس العرف بالشيء كالنكر

١١٩ ــ تكثير مقنبه: أى مجموعة النقل، والنصوص.

(١٢٠) أَرَادَ يُعْلِمُ شَيْخَ الرَّفْضِ أَنَّ جَمِيْـ
عَ الْخَلْـقِ رَدَّ عَلَيْـهِ فِىْ تَأَلُّبِـهِ

(١٢١) وَطَالَمَا دَلَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَاطِبَةً
بِالنَّقْـلِ وَالْعَقْـلِ تَقْرِيْـراً لِأُصْوَبِـهِ

(١٢٢) وَهَبْهُ أَخطَا أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ لَهُ
أَجْـرَ اجْتِهَـادٍ فَقَصِّرْ فِىْ تَثَرُّبِـهِ

(١٢٣) لَقَدْ تَحَجَّرْتَ فِيْهِ وَاسِعاً وَكَذَا
كَ الشَّافِعِىُّ الَّـذِىْ تُعْزىٰ لِمَذْهَبِـهِ

(١٢٤) ثُمَّ اخْتَتَمْتَ بِقَوْلٍ رُدَّ آخِرُهُ
عَلَـى مُقَدِّمِـهِ نَكْصاً لِأَعْقُبِـهِ

---

١٢٠ ــ شيخ الرفض: ابن مطهّر الحلي صاحب «منهاج الكرامة»
تألّبه: فساده، وتحرّضه.

١٢٢ ــ هَبْهُ: احسبه.
أجر اجتهاد: عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال:
«إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» (صحيح البخاري): ١٣ /٣١٧؛ وصحيح مسلم رقم: ١٧١٦)
تثرّبه: ملامه وتعييره.

١٢٣ ــ تحجرتَ: ضيّقتَ عليه واسعاً.
تُعزىٰ لمذهبه: تنسب إليه، والخطاب للسبكي وهو شافعي المذهب. معناه عندي والله أعلم: إنك إذ تحجرت واسعا على شيخ الإسلام في اجتهاده؛ فالإمام الشافعي ــ رحمه الله ــ أيضاً مجتهد ويلزم عليه ما يلزم على شيخ الإسلام.

١٢٤ ــ نَكْصاً: رجوعا. يقال: نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير.

(١٢٥) وَلِىْ يَدٌ فِيْهِ لَوْلَا ضُعْفُ سَامِعِهِ*

جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيْطِى فِي مُهَذَّبِــــهِ

(١٢٦) عِبْتَ الْكَلَامَ بَدِيّاً وَافْتَخَرْتَ بِهِ

أَخِيْــراً اعْـــجَبْ لِبَانِيْـــهِ مُخَرِّبـــــهِ

(١٢٧) زَعَمْتَ فِيْهِ ضَلَالًا ثُمّ قُلْتَ وَلِىْ

فِيْهِ يَدٌ بُسِطَتْ، جَهْلٌ بَجَحْتَ بِــهِ

(١٢٨) هٰذَا لَعَمْرِىْ كَرَامَاتٌ لِصَاحِبِنَـا

إِذْ صَدَّ شَانِئَـــهُ عَنْ كُلِّ مَأْرَبِـــهِ

(١٢٩) وَلَـيْسَ هٰذَا بِحَمْـدِ اللهِ أَوَّلَـةً

مِنَ الْكَرَامَـاتِ فِىْ أَصْحَـابِ يَثْرِبِـــهِ

---

١٢٥ ــ من أبيات السبكى.

لى يدٌ فيه: لى مهارة في علم الكلام.

بسيطى: البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه الأصلى:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

١٢٦ ــ بديّاً: ابتداءً.

١٢٧ ــ زعمت فيه: في علم الكلام.

بجحتَ به: فرحت به.

١٢٨ ــ لصاحبنا: لشيخنا شيخ الإسلام.

شانئه: خصمه.

مأربه: حاجته.

١٢٩ ــ يثرب: اسم مدينة النبى ﷺ.

(١٣٠) وَقَعْتَ فِىْ الشَّيْخِ إِذْ رَدَّ الرَّوَافِضَ فِىْ
قَعْرِ الْحَضِيْضِ وَكَانُوْا فَوْقَ مَرْقَبِهِ

(١٣١) أَوْهَمْتَنَا فِيْكَ رَفْضاً فِىْ كَلَامِكَ وَالْـ
إِنْسَانُ قَدْ يُبْتَلىٰ مِنْ تَحْتِ مِذْرَبِهِ

(١٣٢) وَذَاتُ صَدْرِ الْفَتىٰ تَبْدُوْ لِصَاحِبِهِ
مِنْ فَرَحٍ تَارَةً أَوْ مِنْ تَغَضُّبِهِ

(١٣٣) وَلَا اعْتِبَارَ بِنَزْرٍ مِنْ هِجَائِهِمِ
دِيْنُ التَّقِيَّةِ غَالَوْا فِىْ تَلَزُّبِهِ

---

١٣٠ — وقعتَ في الشيخ: شيخ الإسلام.
قعر الحضيض: غور الأرض.
فوق مرقبه: فوق رقبته.

١٣١ — أوهمتنا ... الخ: من حيث إنك تقع فى شيخ الإسلام الذى ردّ على خزعبلات الروافض.
مِذْرَبه: لسانه.
والإنسان قد يبتلى ... الخ:
ويقال: لسانك حصانك، إن صنته صانك وإن خنْتَه خانك.

١٣٢ — ذاتُ صدر الفتى: ما يكنه في صدره من الفضائل أو الرذائل.

١٣٣ — نزر: قليل من الكلام يدل على عِي.
التقيّة: قال شيخ الإسلام: «والرافضة تجعل هذا في أصول دينها، وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الذين برّأهم الله عن ذلك حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال: «التقية دينى ودين آبائى» — وقد نزّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقاً، وتحقيقاً للإيمان. وكان دينهم التقوى لا التقية.» =

(١٣٤) وَقَدْ كَفَانَا إِمَامُ الْوَقْتِ أَمْرَهُمُ
بِالـــرَّدِّ إِذْ سَارَ فِيْ شَرْقٍ وَمَغْرِبِـــهِ

(١٣٥) فَفَضْلُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ مُضْحِيَةً
رَأْدَ الضُّحَى ظَاهِـرٌ يَرْمِى بِأَشْهُبِـــهِ

(١٣٦) أبدَى أُصُوْلَ الْهُدَى لِلنَّاسِ وَاضِحَةً
كَالْبَـدْرِ حِيْـنَ تَجَلَّى وَسْطَ غَيْهَبِـــهِ

(١٣٧) سَارَتْ تَصَانِيْفُهُ فِيْ الْعَالَمِيْنَ مَسِيْـ
ـرَ النَّيِّرَيْـــنِ فاقـــدر عبر لـــــه

= (منهاج السنة: ١ /١٥٩ = الأميرية)

تلزُّبه: لحوقه ولصوقه وثبوته.

١٣٤ ــ إمام الوقت: شيخ الإسلام.

بالرّدّ: ردّه على الروافض في كتابه «منهاج السنة».

١٣٥ ــ مُضْحية: ظاهرة بادية.

رأد الضحى: ارتفاعه.

أشهبه: جمع شهاب: وهو شعلة من نار ساطعة.

١٣٦ ــ أصول الهدى: ما من مسألة لغط فيها الناس إلا وأبدى فيها شيخ الإسلام رأيه المستنبط من نصوص الكتاب والسنّة، وجلّاها من غير أن يخاف فى الله لومة لائم. وهذا لا يحتاج إلى دليل.

١٣٧ ــ سارت تصانيفه مسير النيرين: الشمس والقمر.

قال الشوكانى: «إنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتدّ به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته»

(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ١ /٦٥ = دار المعرفة بيروت).

«وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة أو أكثر» (المصدر المذكور: ١ /٧٢).

فا مدر عبرله: كذا وقع في الأصل بدون نقط. والكلمات غير مقروءة.

(١٣٨) حَوَى الْعُلُوْمَ مُجِدًّا فِىْ تَطَلُّبِهَا
إِذْ غَيْرُهُ الْمَالُ أَضْحَى جُلَّ مَطْلَبِهِ

(١٣٩) لَمْ يَعْلَمُوْا عِلْمَهُ مِنْ أَجْلِ ذَا حَسَدُوْا
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَالَا يَعْلَمُوْنَ بِهِ

(١٤٠) لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْهُ لَا دِيْنٌ وَلَا وَرَعٌ
عَمُوْا وَصَمُّوْا وَلَجُّوْا فِىْ تَأَنُّبِهِ

---

١٣٨ — حوى العلوم: إليكم ما يدلّ على حوايته العلوم من قول الحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس اليعمرى حيث قال:

«حداني — يعنى المزى — على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقى الدين فألفيته ممن أدرك من العلوم حظّا، وكان يستوعب السنن والآثار حفظا. إن تكلّم في التفسير فهو حامل رأيته، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته. برز في كلّ فن على أبناء جنسه. ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه ...» (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلانى: ١ /١٥٦ = دار الجيل بيروت)

* وقال الشوكانى:

«أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنّه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما» (البدر الطالع : ١ /٦٤)

١٣٩ — كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا علمه   والناس أعداء له وخصوم

١٤٠ — لم يثنهم عنه: لم يردّهم من الحسد والحقد عليه.

لجّوا في تأنّبه: خاضوا في توبيخه.

قال الحافظ ابن سيد الناس بعد ما ذكر علمه وفضله:

«.... إلى أن دبّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وألّب أهل النظر على ما ينتقد عليه من أعور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاماً أوسعوه بسببه ملاماً... =

(١٤١) إِمَامُ صِدْقٍ لَهُ فِىْ الْعِلْمِ مَرْتَبَةٌ
شَمَّــا بِمُعْجَمِــهِ فِيْهَــا وَمُعْرَبِــهِ
(١٤٢) بَدَتْ لَهْ زِيْنَةُ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا
فَرَدَّهَــا وَتَمَــادَى فِىْ تجَنُّبِــهِ
(١٤٣) وَغَيْرُه بَذَلَ الدِّيْنَ الْمُكَرَّمَ فِىْ
تَحْصِيْلِهَــا وَتَنَاهَــى فِىْ تَوَثُّبِــهِ

= ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة .... فآضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوى الضغن عليه من مقاطعيه فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكره، فرتّبوا المحاضر، وألّبوا الرويبضة للسعى بها بين الأكابر. (الدررالكامنة: ١ /١٥٧)

١٤١ ــ شماء: عالية.
ولا ريب أن شيخ الإسلام كان إمام صدق في المعاصرين، وصار باحتماله المحن والشدائد لسان صدق في الآخرين. قال الإمام الشوكاني:
«وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذاك والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكدّرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره» (البدر الطالع: ١ /٧٢)

١٤٢ ــ تمادى في تجنبه: تغالى في بعده عنها.
قال الشهاب ابن فضل الله:
«لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمّى شرف الدين، وحض أهل المملكة على الجهاد (أى ضدّ التتار) فأغلظ القول للسلطان والأمراء. ورتّبوا له في مقرّ إقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام، فلم يقبل شيئا من ذلك. وأرسل له السلطان بقجة قماش، فردّها» (الدررالكامنة: ١ /١٥٢)

١٤٣ ــ تناهى في توثّبه: جاوز الحد فى استيلائه على الدنيا.
* تقدم في شرح البيت رقم (٩٣) أن السبكى ألّف كتابه «شفاء السقام» ردّاً على =

(١٤٤) شَتَّانَ بَيْنَهُمَا فِى الْحُكْمِ يَا سُبُكِي

كَمْ بَيْـنَ صَادِقِ قَوْلٍ مِنْ مُضَرِّبِـــهِ

(١٤٥) فَالْعِلْمُ وَالْفَقْرُ مَقْرُوْنَانِ فِىْ قَرْنٍ

وَالْمَـالُ وَالزُّهْـــدُ فِىْ شَرْقٍ وَمَغْرِبِـــهِ

(١٤٦) لأنَّ ذَا الْعَرْشِ يَحْمِىْ أَهْلَ طَاعَتِهِ الدُّ

نْيـا حِمَـى اهْـلِ مَرِيْضٍ مَّايُضِرُّبِـــهِ

= شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال إلى القبور ليتقرب به إلى القاضى الذى كان من أعدائه فخاب أمله ولم ينفق عنده» (الصارم المنكى ص ٢١)

* قال أبو زرعة (العراق): قلت مرّة لشيخنا الإمام البلقينى: ما تقصير الشيخ تقى الدين السبكى عن الاجتهاد، وقد استكمل، إليه، وكيف يقلّد؟ قال: «... فسكت. فقلت: فما عندى أن الامتناع من ذلك إلا للوظائف التى قدّرت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأن من خرج عن ذلك لم ينل شيئا من ذلك، وحرم ولاية القضاء، وامتنع الناس من استفتائه، ونُسِبَ إليه البدعة فتبسم، ووافقنى على ذلك» (الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف لولى الله الدهلوى ص ـ ٧٣ = تحقيق عبدالفتاح أبو غده) ثم ردّ الدهلوى على هذا القول إحسانا بالظن.

* وطلب التقى السبكى عند وفاته من السلطان أن يولى القضاء ابنه التاج السبكى فأجيب له ذلك.

١٤٤ ـ مضرّبه: مخلّطه.

شتان بين الانتقال من سجن إلى سجن، ومن محنة إلى الأخرى لأجل الصدع بالحق، وبين السعى للحصول على المناسب والتربع على كرسى القضاء في الدولة.

«شتان بينهما في الحكم يا سبكى»

١٤٥ ـ مقرونان: مربوطان

«لا يطلب العلم براحة الجسم»

(١٤٧) فَشَيْخُنَـا تَرَكَ الدُّنْيَـا وَزِيْنَتَهَـــا
وَخَصْمُــهُ مِنْ هَوَاهَـــا فِىْ تَعَذُّبِــــهِ

(١٤٨) وَاللهِ لَوْلَمْ يَكُنْ بِالدِّيْنِ مُتَّسِماً
أَشْمَتَّ فِيْهِ الْأَعَـادِى عَنْ مُعَتَّبِـــهِ

(١٤٩) فَالْفَتْكُ قَيَّدَهُ التَّقْوَى وَمَذْهَبُنَـا
تَرْكُ الْجِـدَالِ وَتَأْنِــيْبٌ لِطَالِبِـــهِ

---

١٤٧ ــ راجع البيتين (١٤٢، ١٤٣) مع شرحهما.

١٤٨ ــ متّسماً: منهمكاً فيه، ومعروفاً به.
أَشْمَتَّ .... عن معتّبه: أفرحتهم بما يعانيه من عتاب ومحنة ومصيبة.

١٤٩ ــ الفتك: ركوب ما دعت إليه النفس.
معلوم أن شيخ الإسلام أوذى كثيرا من قبل قضاة الدولة وفقهائها. وكانوا يوالون الجاشنكير الذى تسلطن بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون ظلما.
فلمّا رجع الملك الناصر إلى الحكم سنة ٧٠٩ هـ قتل الجاشنكير، وحمل شيخه نصر المنبجى الحلولى. وهلك في زاويته وقتل كثير من رؤوس الشر والفساد. وبهذه المناسبة أراد الملك الناصر أن يقضى على الفقهاء والقضاة الذين خالفوه، ووالوا الجاشنكير وهم الذين تكرّر منهم الإفتاء بقتل شيخ الإسلام حيناً، وبحبسه حينا آخر. فانتهز الناصر هذه الفرصة واستفتى شيخ الإسلام في قتل بعضهم، فتفطّن ما في قلبه، وقال:
«... ففهمت مقصوده أن عنده حنقاً شديداً عليهم لما خلعوه، وبايعوا الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك. أما أنا فهم في حلّ من حقى وجهتى. وسكّنتُ ما عنده عليهم. قال: فكان القاضى زين الدين ابن مخلوف قاضى المالكية (الذى ألّف السبكى كتابه «شفاء السقام» في الرد على شيخ الإسلام تقربا إليه) يقول بعد ذلك:
«ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نُبقِ ممكنا في السعى فيه، ولما قدر علينا عفاعنا»
(العقود الدرية: ٣٨٢ ــ ٣٨٣، والبداية والنهاية: ١٤ /٥٤)، =

(١٥٠) فَهٰذِهِ نُبْذَةٌ أُوْرَدْتُهَا عَجِــلًا

عَنِ ابْــنِ تَيْمِيَّــةٍ نصــراً لِمَذْهَبِــهِ

(١٥١) وَالْحَمْدُ للهِ حَمْداً أَسْتَعِيْنُ بِهِ

عَلٰى ذَوِى الْبِـدَعِ الْأَعْـدَا لِمَنْصِبِــهِ

(١٥٢) ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفاً

وَصَحْبِــهِ وَمَــنِ اسْتَهْــدَى بِكَوْكَبِــهِ

* * * *

= هكذا لم يكن يكفّر من كفّره لأنه كان يقول: إن التكفير حق الله وسوله. والكافر من كفّره الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا هو معنى قول الناظم:

فالفتك قيّده التقوى ...

١٥٠ — نبذة: ناحية من نواحي مناقب شيخ الإسلام، والانتصار لمذهبه: مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين، — رضوان الله عليهم أجمعين —.

وآخر بيت من أبيات السبكي هو:

هو الذى قاله السبكى مرتجلا　　وللبسيط انتمى في بعض أضربه

فرد الناظم السرمرى عليه بقوله:

فهــذه نبــذه أوردتها عجــلًا　　عن ابن تيمية نصراً لمذهبــه

* * *

تمّ هذا التعليق على «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» لأبى المظفر العبادى السرّمّرى — رحمه الله تعالى — بعون الله الوهاب وبنعمته تتم الصالحات.

والحمدلله أوّلا وآخرا. وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

نيو دهلى :

يوم السبت

١٦ / ٧ / ١٤١١ هـ

٢ / ٢ / ١٩٩١ م.

بقلم الراجى إلى عفوالله الصمد

صلاح الدين مقبول أحمد

غفرالله له ولوالديه ولإخوانه ومشايخه



قصيدة

فى الرد على التقىّ السبكى والدفاع عن ابن تيمية

لأبى عبد اللّه محمّد بن يوسف الشافعى اليمنى

تقديم و تعليق

صلاح الدّين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الاسلامية

تحت إشراف

مركز "أبو الكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

٨/١ جوغابائى، نيودلهى - ١١٠٠٢٥ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

الناظم

أبو عبدالله الشافعي اليمني

وقصيدته

في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية

صاحب هذه القصيدة هو: أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني، لم نعثر على ترجمة[1] هذا العالم الجليل إلا أن قصيدته تنبيء عن علمه وفهمه وذكائه، وسلامة معتقده واستقامة دينه وكفى ــ لأن المهم هو دفاعه عن الحق وانتصاره لمذهب السلف الصالح وهو حاصل بكلامه ــ رحمه الله ــ أما شخص الإنسان فليس مقصوداً بذاته. ومع هذا وصفه ناشر القصيدة بقوله:

«قال الشيخ الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني»[2]

قصيدته:[3]

لقد وفّق الله تعالى الناظم توفيقاً عظيماً فجادت قريحته الوقّادة بهذه القصيدة الرائعة في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ

---

(١) قال الدكتور محمد رشاد سالم أيضاً: «لم أجد ترجمته في كل المراجع التي بين يديّ» (منهاج السنة: ١ /١٠٩ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام بالرياض.

(٢) تقاريظ لمنهاج السنة (ص ٧ المطبوعة مع الطبعة الأميرية)

(٣) نشرت هذه القصيدة في «تقاريظ» لمنهاج السنة (٧ ــ ١١) وجلاء العينين في محاكمة =

والانتصار لمذهبه. وكشف اللثام عن المغالطات والتمويهات التى انطلت على كثير من الناس.

وكان وقعها على أهل البدع والأهواء في غاية من الشدّة حتى رمى أحدهم (وهو كمال أبو المنى الشخص المشبوه) ناظمها بالعمى في البصيرة، والافتنان بابن تيمية[٤] لما رأى دفاعه عن الحق وردّه على الباطل بكل قوة وحزم. ولاريب أن وقيعة أمثال هؤلاء الرعاع في فحول العلماء إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على سلامة عقيدتهم، وكمال دينهم، ودفاعهم عن الحق واجتنابهم من الباطل.

فإن أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

* * *

تحتوى هذه القصيدة البليغة الرائعة على مائة وعشرة أبيات مع ابيات التقى السبكى، على النحوالتالى:

قدّم الناظم بعشرة أبيات تمهيداً لقصيدته أوّلا. ثم ذكر قصيدة السبكى بكاملها وهى ستة عشر بيتاً. وعقّب عليها بردّه المسهب، وبدأ

= الأحمدين للآلوسى (ص ١٩ وما بعدها)، ومنهاج السنة (١ / ١١٠ ـــ ١١٧ مقدمة التحقيق) وقام المحقق الدكتور محمد رشاد سالم بمقابلة النص المطبوع لهذه القصيدة في «منهاج السنة» (طبع الأميرية) بالنص المطبوع في جلاء العينين. وما كان من كلامه وتحقيقه نقلته كما هو، مشيراً في نهايته إلى اسمه بحرف (م) اعترافا بفضله ـــ رحمه الله ـــ والفضل للمتقدم.

(٤) مقدمة «الرسائل السبكية» (ص ٦٧)، والتوفيق الربانى (ص ٧٧).

يناقض قصيدته مشيراً إلى كل بيت منها، ففصّل المسائل، وبيّن قوة استدلال شيخ الإسلام عليها في ضوء الكتاب والسنة، وأظهر ضعف متمسك السبكى وقال:

(٧٢) نزلت حول حماه كى تنازله   فما علَوتَ عليه بل علوتَ بـه

وقال فى أواخر القصيدة:

(١٠٧) هذا جوابك يا هذا موازنةً   بحراً وقافيةً في النظم والشبـه

*   *   *

الحمدلله تعالى أولا وآخراً والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلّم وعلى آله الطيّبين وأصحابه الغرّ الميامين ــ رضى الله عنهم أجمعين.

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه

*   *   *

نص

قصيدة أبي عبدالله محمد بن يوسف اليمني



(التمهيد)

(١) الْحَمْدُ للهِ حَمْداً أَسْتَزِيْدُ بِهِ
فَضْلَ الْإِلٰهِ وَآتِى مَا أُمِرْتُ بِهِ

(٢) وَأَسْتَعِيْنُ بِهِ فِى كُلِّ مُعْضِلَةٍ
تَأْتِى فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَعِيْنُ بِهِ

(٣) فَهْوَ الْإِلٰهُ الْكَرِيْمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْـ
ـفَرْدُ الْمُجِيْرُ لِعَبْدٍ يَسْتَجِيْرُ بِهِ

(٤) ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا قَدْ سَرَى نَجْمٌ بِغَيْهَبِهِ

(٥) وَبَعْدُ فَاسْمَعْ كَلَاماً قَدْ تَفَوَّهَهُ
قَاضِى الْقُضَاةِ تَقِىُّ الدِّينِ وَانْتَبِهِ

(٦) أَعْنِى أَبَا الْحَسَنِ السُّبْكِيَّ حِيْنَ غَدَا
يَبْغِى مِنَ الْأَمْرِ مَالَا يَسْتَقِلُّ بِهِ

(٧) فَقَالَ يَذْكُرُ مَا رَدَّ الْإِمَامُ عَلَى
حِزْبِ الرَّوَافِضِ رَدًّا غيرَ مُشْتَبِهِ

---

٢ — معضلة : مشكلة. وجمعها : المعضلات: المشكلات والشدائد.

٤ — بغيهبه : بظلامه.

٥ — في «ج» (جلاء العينين للآلوسى) (ص ١٩) : «تقوّله» (م).
تقى الدين: على بن عبد الكافى السبكى (٦٨٣ — ٧٥٦ هـ).

٦ — ما لا يستقل به : ما لا يحمله.

٧ — «ج» (ص ١٩) : «فقال ذلك إذ ردّ الإمام على» (م).
الإمام : شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّانى (٦٦١ — ٧٢٨ هـ)

(٨) أَعْنِى ابْنَ تَيْمِيَّةَ الْحَبْرَ الَّذِىْ شَهِدَتْ
بِفَضْلِــهِ فُضَلَاءُ النَّـــاسِ والنُّبُـــهِ
(٩) فَاسْتَحْسَنَ الرَّدَّ حتى رَاحَ يَمْدَحُهُ
بِمَـــا أَزَالَ مِنَ الْإِشْكَـــالِ والشُّبَـــهِ
(١٠) لكنَّه بَعْدَ هذَا الْمَـدْحِ خَالَفَـهُ
وَقَـالَ أَبْيَــاتَ شِعْــرٍ غير مُنْجَبِــهِ

* * *

(قصيدة التقى السبكى)

(١١) إِنَّ الرَّوَافِضَ قَوْمٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
مِنْ أَجْهَلِ النَّـاسِ فِىْ عِلْـمٍ وَأَكْذَبِـهِ

---

٨ — الحَبْر : العالم الصالح. النُّبه : جمع التبيه : أهل النُّبْهِ والفطنة والذكاء.

٩ — فاستحسن الردّ : استحسن السبكى ردّ شيخ الإسلام على الروافض في سِفْره القيم «منهاج السنّة النبوية»

١٠ — غير منجب : باطل، خلاف المختار.

١١ — لاخلاق لهم: لانصيب لهم من الخير. قال الإمام ابن قيم الجوزية:
«كل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف، كما قال ابن المبارك: وجدت «الدين» لأهل الحديث، و «الكلام» للمعتزلة، و «الكذب» للرافضة، و «الحيل» لأهل الرأى وسوء الرأى والتدبير «لآل أبى فلان» (مختصر الصواعق المرسلة : ٢ /٣٥٩، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص ٤٨٠ = طبعة السلفية بالقاهرة) راجع البيت رقم (٢٠) مع شرحه من قصيدة السرّمرى.

(١٢) وَالنَّاسُ فِى غُنْيَةٍ عَنْ رَدِّ إِفْكِهِمِ
لِهُجْنَةِ الــرَّفْضِ وَاسْتِقْبَــاحِ مَذْهَبِــهِ

(١٣) وَابْنُ الْمُطَهَّرِ لَمْ تَطْهُرْ خَلاَئِقُهُ
دَاعٍ إِلَى الرَّفْضِ غَالٍ فِى تَعصُّبِهِ

(١٤) لَقَدْ تَقَوَّلَ فِى الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ
يَسْتَحْيِ مِمَّا افْتَرَاهُ غَيْــرَ مُنْجَبِــهِ

(١٥) وَلِابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَدٌّ عَلَيْهِ وَفَــى
بِمَــقْصَدِ الــرَّدِّ وَاسْتِيْفَــاءِ أَضْرُبِــهِ

(١٦) لٰكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِيْنَ بِمَـا
يَشُوْبُــهُ كَدَرٌ فِى صَفْــوِ مَشْرَبِــهِ

---

١٢ ــ هجنة : ما يعاب به، القبح.

١٣ ــ ابن المطهر : هو جمال الدين الحسن بن يوسف الحلىّ (٦٤٨ ــ ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة صاحب «منهاج الكرامة» الذى ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية». راجع البيت رقم (١٥) مع شرحه من قصيدة السرّمرّى.

١٤ ــ «ج» (ص ٢٠) : «يستحى من افتراء غير منتبه» (م).

١٥ ــ ردّ عليه: أى على ابن المطهّر الحلىّ.
«ج»: «استيفاء» (م). استيفاء : إعطاء الشيء حقه.

(١٧) يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهْوَ لَهُ
حَثِـيْثُ سَيْـرٍ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِـهِ

(١٨) يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِهَا
فِيْ اللهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَـنُّ بِـهِ

(١٩) لَوْ كَانَ حَيّاً يَرَى قَوْلِيْ وَيَسْمَعُهُ
رَدَدْتُّ مَا قَالَ رَدّاً غَيْـرَ مُشْتَبِـهِ

(٢٠) كَمَا رَدَدْتُّ عَلَيْهِ فِيْ الطَّلَاقِ وَفِيْ
تَرْكِ الزِّيَارَةِ أَقْفُـوْ إِثْـرَ سَبْسَبِـهِ

---

١٧ — افترى السبكى على شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. والحشو: لغةً: ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضا.

واصطلاحا: عبارة عن الزائد الذى لا طائل تحته: (التعريفات للجرجانى ص ٨٦ = دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ) راجع البيت رقم (٤٣) مع شرحه، من قصيدة السرّمرّى، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ — ٢١٩) لكاتب هذه السطور. والبيت رقم (٤٥) وما بعده من هذه القصيدة.

١٨ — فرية أخرى على شيخ الإسلام بأسلوب جعل المعروف منكرا، والمنكر معروفاً. فما نسبه السبكى إلى شيخ الإسلام خطأ عنده على مذهب أهل الكلام المذموم، وحق عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.

(راجع التفصيل في قضية «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في البيت رقم (٥٩) مع شرحه، من قصيدة السرّمرّى، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور) (٢٢٠ — ٢٤٥) والبيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

١٩ — ردّ الناظم: أبو عبدالله الشافعى عليه في البيت رقم (٩٩) من قصيدته هذه.

٢٠ — «في اللسان»: السبسب: «الأرض القفر البعيدة» والمعنى أنه تتبّع غرائبه وشوارده بالردّ (م).

راجع الردّ في مسألة الطلاق فى البيت رقم (٨٦) مع شرحه من قصيدة السرّمرّى، وفي مسألة الزيارة وشدّ الرحال إلى القبور في البيت رقم (٩٢ — وما بعده) من قصيدة المذكور. وسيأتى ردّ الناظم على السبكى في هاتين المسألتين على الترتيب في الأبيات ذات الأرقام (٧٣ وما بعده؛ و ٨٨ وما بعده).

(٢١) وَبَعْدَهُ لَا أَرَى لِلـردِّ فَائِـدَةً
هَذَا وَجَوْهَـرُهُ مِمَّـا أَضِنُّ بِـهِ
(٢٢) وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِى حَالَيْنِ: وَاحِدَةٍ
لِقَطْـعِ خَصْمٍ قوىٍّ فِى تَغَلُّبِـهِ
(٢٣) وَحَالَةٍ لِانْتِفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ
هُدًى وَرِبْـحٌ لَدَيْهِـمْ فِىْ تَكَسُّبِـهِ
(٢٤) وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِى عِلْمِ الْكَلَامِ هُدًى
بَلْ بِدعَـةٌ وَضَلَالٌ فِىْ تَطَلُّبِـهِ
(٢٥) وَلِى يَدٌ فِيْهِ لَوْلَا ضُعْفُ سَامِعِهِ
جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيْطِى فِىْ مُهذَّبِـهِ
(٢٦) هَذَا الَّذِى قَالَهُ السُّبْكِىُّ مُرْتَجِلًا
وَلِلْبَسِيْطِ انْتَمىٰ فِىْ بَعْضِ أَضْرُبِـهِ

* * *

---

٢١ ــ أضنّ به: أخصّ به.

٢٢ ــ «ج»: تقلّبه : (م).

٢٣ ــ «ج»: «هدى وربح جزيل في تكسّبه» (م).

٢٤ ــ علم الكلام : علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام، (التعريفات للجرجانى ص ١٥٦)

وعلم الكلام المذموم ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنّة.

٢٥ ــ لى يد فيه: لى مهارة فى علم الكلام.

البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه: مستفعلن فاعلن، أربع مرات. وراجع البيت رقم (١٢٥) مع شرحه من قصيدة السرّمرّى.

(٢٧) فَقَالَ مُرْتَجِلًا لِلْحَقِّ مُنْتَصِراً
عَبْدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي تَأَدُّبِهِ

(٢٨) يا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْحَامِي لِمَذْهَبِهِ
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ أَمْراً ما أُمِرْتَ بِهِ

(٢٩) تَقُوْلُ فِيْ بَاغِضِي صَحْبِ الرَّسُوْلِ وَمَنْ
يَرَى مَسَبَّتَهُمْ أَصْلًا لِمَذْهَبِهِ

(٣٠) وَالنَّاسُ فِيْ غُنْيَةٍ عَنْ رَدِّ إِفْكِهِمِ
هَذا هُوَ الإِفْكُ لكِنْ مَا شَعَرْتَ بِهِ

(٣١) بَلْ رَدُّه واجِبٌ نُصْحاً ومَعذِرَةً
وَنُصرةً لِسَبِيْلِ الْحَقِّ مِنْ شُبَهِ

(٣٢) إِذَا تَقُوْلُ فِيْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ فَمَا
ذَا تُوْجِبُوْنَ عَلَيْهِ يَاذَوِي النَّبَهِ

---

٢٩ — «ج»: يُرِيكَ سبّهم أصلا لمذهبه: (م).

في باغضى صحب الرسول: في الشيعة الروافض الذين هم أخبث الحيوان على قول ابن القيم — رحمه الله تعالى — وليس في الدنيا قوم يكون السبّ عندهم ديناً إلا هؤلاء الطغام، حتى ذكروا في كتبهم عن أئمة آل البيت — وهم منهم برءاءُ كذباً وزورا: أن من يسبّ فلانا وفلاناً من الخلفاء الراشدين، فلانة وفلانة من أزواج النبى ﷺ المطهرات فله من الثواب كذا وكذا. فلعنة الله على الظالمين. (راجع البيت رقم (١١) مع شرحه من هذه القصيدة)

٣٠ — الشطر الاول من البيت للسبكى.

٣٢ — «ج» — (ص ٢١): يا أولى النبه (م). وهم أهل الفطنة والذكاء والعقل.

(٣٣) وَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ الشَّخْصَ دَاعِيَةٌ
إِلَـى الضَّلَالِ بِلَا رَيْبٍ وَلَا شُبَـهِ

* * *

(افتراءات على شيخ الإسلام)

(٣٤) وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ تَقِيِّ
الدِّيْـنِ أحمدَ أمـرٌ لا يُخَصُّ بِـهِ

(٣٥) مِنْ قَوْلِكُمْ: خَلَطَ الحقَّ المُبِيْنَ بِمَا
يَشُوْبُـهُ كَدَرٌ فِيْ صَفْـوِ مَشْرَبِـهِ

(٣٦) يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهْوَ لَهُ
حَثِـيثُ سَيْـرٍ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِـهِ

---

٣٣ ـ «ج»: بلا ترديد مشتبه (م).

معروف أن الحليّ كان داعية إلى الرفض. وألّف كتابه «منهاج الكرامة» لأجل الملك الجايتو (خدا بنده) من أحفاد جنكيز خان.

فالحكم على الداعية إلى البدعة يختلف عن الحكم على غير الداعية، فالأول لابد أن يفضح أمام الملأ من الناس لئلا يقعوا في حبائله. والآخر يستحسن أن يناقش معه ليرجع عن بدعته إلى الحق والصواب.

٣٤ ـ «ج»: «وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبى الـ ـعباس .....» (م).

أمر لايخص به: هو ليس بمتفرّد به، بل قاله غيره من كبار علماء السلف المتقدمين.

٣٥ ـ «ج»: في قولكم ......، والبيت من قصيدة السبكى غير الكلمة الأولى.

٣٦ ـ من قصيـدة السبكـى.

وقد تقدم ما يتعلق بالحشو في شرح البيتين (٤٣، ٥١) من قصيدة السرّمرّى.

وسيأتى في البيت رقم (٤٥) وما بعده، من هذه القصيدة.

(٣٧) يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِهَا
فِيْ اللهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ

(٣٨) لَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ السَّادَةَ السَّلَفَ الْـ
ـمَاضِيْنَ مَا خَرَجُوْا عَمَّا أُقَرِّبِهِ

(٣٩) هُمُ الْقُرُونُ الأُلٰى نَصَّ الرَّسُوْلُ عَلٰى
تَفْضِيْلِهِمْ وَأَزَالُوْا كُلَّ مُشْتَبَهِ

(٤٠) لَئِنْ رَدَدْتَّ عَلَيْهِ فِيْ مَقَالَتِهِ
فَقَدْ رَدَدْتَّ عَلَيْهِمْ فَادْرِ وَانْتَبِهِ

(٤١) كَذَا الْأَئِمَّةُ أَهْلُ الْحَقِّ كُلُّهُمُ
يَرَوْنَ مَا قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا جَبَهِ

---

٣٧ — مضى مبحث إمكان وجود حوادث لا أوّل لها» في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرّمرّى. وراجع كتاب «دعوة شيخ الإسلام» للتفصيل في هذا الموضوع. وسيأتى أيضا في البيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

٣٩ — «ج»: هم القرون الأولى في نصّ سيدنا حازوا الفخار بأمر غير مشتبه (م).
ورد عن ابن مسعود فيما صح عن النبى ﷺ قال: «خيرُ الناسِ قرنى، ثُمَّ الذَّينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذَّينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يجيء أقوام تسبِقُ شهادةُ أحدهم يمينهُ، ويمينهُ شهادتَه» (رواه احمد والبخارى ومسلم، والترمذى)

هذه هى القرون المشهود لها بالخير التى نص النبى ﷺ على تفضيلها على غيرها من القرون.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع إلى ما ذهب إليه أهل هذه القرون المفضلة.

٤٠ — «ج»: أى رددت أيضا على السلف (م).

٤١ — «ج»: ثم الأئمة ...... (م).

(٤٢) فَرْدُكُمْ لَيْسَ مخْصُوْصاً بِوَاحِدِهِمْ
بَلْ بِالْجَمِيْعِ وَهٰـذَا مَوْضِعُ الشَّبَـهِ

(٤٣) هلَّا جَمَعْتَ الْأُلىٰ قَالُوْا مَقَالَتَهُ
لِيَسْتَبِيْـنَ خَطَاهُـمْ مِنْ مُصَوِّبِـهِ

(٤٤) فَكُلُّهُمْ خَلَطُوْا الْحَقَّ الْمُبِيْنَ بِمَا
يَشُوْبُـهُ كَدَرٌ فِيْ صَفْـوِ مَشْرَبِـهِ

(فرية الحشو والتجسيم)

(٤٥) إِن كَانَ ذٰلِكَ حَشَوِياً لَدَيْكَ يَرَى
وَكُلُّهُمْ أَنْتَ تقفُـو إِثْـرَ سَبْسَبِـهِ

---

٤٤ ـــ «ج»: خلط .... (م).

٤٥ ـــ «ج»: فكلهم كان حشوياً لديك يرى .... (م).

«تقفو إثر سبسبه»: تتتبع شارده ووارده. وراجع شرح البيت رقم (١٧) من هذه القصيدة.

(٤٦) فَالْحَشْوُ فِرْيَةُ جَهْمِيٍّ ومعتَزِلٍ
فَامْدَحْ وَذُمَّ بِمَا جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ

(٤٧) وَانْظُرْ لَوَازِمَ مَا حَاوَلْتَهُ طَلَباً
فَنِيَّةُ الْمَرْءِ تُلْفَى عِنْدَ مَطْلَبِهِ

(٤٨) وَخُذْ أَدِلَّةَ مَا قَالُوْهُ وَاضِحَةً
مِنَ الْكُتَّابِ وَدَعْ مَا قَدْ هَذَوْتَ بِهِ

---

٤٦ ــ هذا البيت ساقط في «ج». (م).
اتهام السبكى شيخ الإسلام بالحشو والتجسيم ليس جديدا. بل اتهمت الجهمية والمعتزلة أهل السنة والحديث بهذه الفرية. وزد إلى ذلك أن هذه الألفاظ لم يرد ذكرها في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ رداً على الكلابى: «...ذم للناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ...

أما هذه الألفاظ الثلاثة (الحشو والتشبيه والتجسيم ــ وكذا «الحيّز والجهة» ــ فتاواه: ٥ /٢٩٨) فليست في كتاب الله، ولا في حديث عن رسول الله ولا نطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها لانفيا ولا إثباتا.

وأول من ابتدع الذمّ بها «المعتزلة» الذين فارقوا جماعة المسلمين. فاتباع سبيل المعتزلة دون سبيل سلف الأمة ترك للقول السديد الواجب في الدين، واتباع لسبيل المبتدعة الضالين.

وليس فيها ما يوجد عن بعض السلف ذمّه إلا لفظ «التشبيه» فلو اقتصر به لكان له قدوة من السلف الصالح ....» (فتاوى شيخ الإسلام: ٤ /١٤٥ ــ ١٤٧)

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: فامدح وذُمّ بما جاء الكتاب به

٤٧ ــ «ج»: انظر إلى مطلب حاولته طلبا فنسبة المرء ..... (م).
تلفى: توجد.

٤٨ ــ «هذوت»: من الهذيان وهو الكلام غير المعقول.

(٤٩) فَالـرَّبُّ سُبْحَانَـهُ مَازَالَ مُتَّصِفـاً
بِكُـلِّ وَصْفِ كَمـالٍ عِنْـد مُوجِبِـــهِ

(٥٠) ذَاتِيَّـــةٌ وَكَــذَا فِعْلِيَّـــةٌ وَرَدَتْ
بِهَـا الـــنُّصُوْصُ بِلَا رَيْبٍ وَلَا شُبَـهِ

(٥١) كَمَا تَراهَا عَلَى قِسْمَيْنِ قَائِمَـةً
بِهِ يَقِيْنـــاً يَرَاهَـــا مَنْ أَقَـــرَّ بِــــهِ

(٥٢) هُوَ الْقَدِيْـــمُ بأوصافٍ مُنَزَّهَـــةٍ
عَنِ الْحُدُوْثِ كَمَـا تَأْتِـيْكَ فَانْتَبِـــهِ

(٥٣) حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ قَادِرٌ صَمَـدٌ
فَرْدٌ جَلِيـلٌ عَظِيْـمُ الشأنِ فَارْضَ بِـهِ

---

٤٩ ــ قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٢٧):
«إن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال:، صفات الذات وصفات الفعل. ولايجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال فقدها صفة نقص. ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكلام بعد أن كان متصفاً بضدّه ....» وراجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرّمرّى.

٥٠ ــ في «ج» بدل هذا البيت والبيت الذى قبله:
فللإله صفات الذات قد وردت بها النصوص بلاريب ولا شبه (م).

٥٢ ــ «القديم»: ليس القديم من أسماء الله الحسنى إنما من أسمائه الحسنى فى هذا المعنى هو: الأوّل.
قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية (ص ١١٢ ــ ١٣ = ط. ثامنة):
«وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى ... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لافيما لم يسبقه عدم ...
وجاء الشرع باسمه «الأول»، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة»

(٥٤) فَهٰـذِهِ كُلُّهَـا ذَاتِيَّـةٌ وَرَدَتْ
وَمِثْلُهَـا فِيْ الْمَعَانِـيْ غَيْـرَ مُشْتَبِـهِ
(٥٥) كذا وَفِعْلِيَّـةٌ فَانْظُـرْ مِثَالَهُمَـا
وَقِسْ عَلَيْـهِ وَرَاعِ الْفَـرْقَ تَنْـجُ بِـهِ
(٥٦) يُحِبُّ يُبْغِضُ يَرْضَى يَسْتَجِيْبُ يَرَىٰ
يَجِـيْءُ يَأْتِـيْ بِلَا كَيْـفٍ وَلَا شَبَـهِ

(إمكان وجود حوادث لاأول لها)

(٥٧) وَخَالِـقٌ قَبْـلَ مَخْلُـوْقٍ يُكَوِّنُـهُ
وَقَاهِـرٌ قَبْـلَ مَقْهُـوْرٍ يَكُـوْنُ بِـهِ
(٥٨) وَرَاحِـمٌ قَبْـلَ مَرْحُـومٍ فَيَرْحَمُـهُ
وَرَازِقٌ قَبْـلَ مَرْزُوْقٍ بِأَضْرُبِـهِ
(٥٩) عَنْ أَمْرِهِ صَدَرَ الْمَخْلُوقُ أَجْمَعُهُ
وَالْأَمْـرُ وَيْـحَكَ لَا شَكَّ يَقُوْمُ بِـهِ
(٦٠) وَقَدْ تَكَلَّمَ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْكُتُبِ الْـ
ـمُنَـزَّلَاتِ كَلَامـاً لَا شَبِيـهَ بِـهِ

---

٥٥ ــ «ج» (ص ٢٢) كذا فعلية ... (م).

٥٨ ــ أضربه: أنواعه.

٦٠ ــ في هذا البيت وما قبله من الأبيات ردّ على شيعة الجهم من أهل النّفى والتعطيل. وقال الإمام ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ فيهم:

ونفـوا كلام الـرب جَلّ جلالُـه وقضوا له بالخلـق والحدثـانِ =

(٦١) وَلَمْ يَزَلْ فَاعِلًا أَوْ قَائِـلًا أَزَلًا
إِذَا يَشَاءُ وَهــذا الحَقُّ فَارْضَ بِــهِ
(٦٢) هٰذِىْ حَوَادِثُ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِها
بالــنَّصِّ فَافْهَمْــهُ يَانَومَــانُ وَانتَبِــهِ
(٦٣) إِذْهِى صِفَاتٌ لِمَوْصُوْفٍ تَقُوْمُ بِهِ
قَدِيمَةٌ مِثْلُــهُ مِنْ غَيْــرِ مَاشُبَــهِ
(٦٤) وَمَذْهَبُ الْقَوْمِ مِرُّوهَا كَمَا وَرَدَتْ
مِنْ غَيْرِ شَائِبَةِ الْتَكْيِيْــفِ وَالشَّبَــهِ

= قالــوا ولــيس لربنــا سمع ولا بصر ولا وجه فكيــف يدانِ
وكـذلك ليس لربنــا من قدرة وإرادة ورحمة وحنــــــانِ
كلّا ولا وصف يقوم به سوى ذات مجرّدة بغير معـــــانِ
وحياتــه هى نفسه وكلامـــه هو غيره فاعجب لذا البهتانِ
(النونية : ١ /٢٦ ــ ٢٨)

٦١ ــ راجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرّمرّى.

٦٢ ــ أى أن تسليمنا بما وردت به النصوص من أن الله تعالى متكلّم فاعل منذ الأزل، هو تسليم بوجود حوادث لامبدأ لأولها». (م).
راجع التفصيل في مسألة «إمكان وجود حوادث لا أوّل لها» في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرّمرّى، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور)

٦٣ ــ «ج»: إذهل ... (م).
قديمة مثله: تقدم الكلام آنفا في صفة «القديم» في شرح البيت رقم (٥٢) من هذه القصيدة.

٦٤ ــ «ج»: «ومذهب القوم مروىّ كما وردت» (م).
مِرُّوها: أجيزوها.

(٦٥) وَلَا يَرَوْنَ بِتَعْطِيْلِ الصِّفَاتِ كَمَا
يَقُـوْلُ جَهْـمٌ وَمَـنْ وَالاهُ فِيْ الشُّبَـهِ

(٦٦) ما شَبَّهَ اللهَ إِلَّا عَابِـدٌ صَنَمـاً
يُدْلِـيْ بِأَخْـبَثِ مَعْبُـودٍ وَأَغْرَبِـهِ

(٦٧) وَلَا يُعَطِّـلُ إِلَّا عَابِـدٌ عَدَمـاً
وَلَـيْسَ يَدْرِيْ لَهُ رَبًّـا يَلُـوذُ بِـهِ

(٦٨) سِوَى أَبَاطِيْلَ مَا يَخْتَـارُهُ عَبَثـاً
يَرَى أَمَانِيَّـهُ تَسْرِي بِمَرْكَبِـهِ

---

٦٥ ــ إن سلف هذه الأمة يمرّون الصفات كما جاءت من غير تعطيل، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف. ولكن جهم بن صفوان ومواليه ينكرونها، كما قال ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى　　جحدوا صفات الخالق الديّان
بل عطّلوا منه السماوات العلى　　والعرش أخلوه من الرحمن

راجع شرح البيت رقم (٦٠) المتقدم من هذه القصيدة.

٦٦ ــ قال الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ:
«هذه أمثال حسان مضروبة للمعطّل والمشبّه والموحّد .... ــ ثم ذكر عشرة أمثلة ومنها ــ:

المثل السادس:

قلب المعطّل متعلّق بالعدم فهو أحقر الحقير. وقلب المشبّه عابد للصنم الذى نحت بالتصوير والتقدير. والموحد قلبه متعبّد لمن (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ).

٦٧ ــ «المعطّلة» هم الذين ينفون صفات الله كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة والإسماعيليّة، على تفاوت بينهم في هذا النفى والتعطيل». (م).

يلوذ به: يلجأ إليه.

٦٨ ــ «ج»: لمركبه. (م).
أمانيّه: جمع أمنيّة.
تسرى بمركبه: تسير في عامة الليل.

(٦٩) لَا يَسْتَفِيْقُ إِلَى مَا جَاءَ مِنْ أَثَرٍ
بِمُفْــرَدِ الْقَــوْلِ مِنْــهُ أَوْ مُرَكَّبِـــهِ

(٧٠) وَالجَهْـمُ مَعْبُودُهُ يَبْغِىْ تَطَلُّبَـهُ
وَلَـيْسَ يَفْهَـمُ إِلَّا مَا أَشَارَ بِـــهِ

(٧١) وَالِاتِّحادىُّ مَعْ أَهْلِ الحُلولِ لَهُم
تَخَلُّلٌ كَنُفَــاةِ الْجَهْــمِ فَادْرِ بِـــهِ

(٧٢) مِنْ دَرْبِهِ دَخَلُوْا فِىْ كل فاسدةٍ
رَاجَتْ عَلَيْهِمْ وَمَالُوْا مَيْــلَ مَغْرِبِـــهِ

---

٦٩ ــ لا يستفيق: لا يستريح.

٧٠ ــ جهم: هو ابن صفوان السمرقندى، الضال المبتدع زرع شرّا عظيما.
وكان من أكذب الناس على الله، وأعظمهم فتنة وضلالة في الدين.
راجع: ميزان الاعتدال للذهبى: ١ /٤٢٦، وشرح البيت رقم (٢٦) من قصيدة السرّمرّى.

٧١ ــ في المطبوعة (مع منهاج السنة):
«مجال في كنفات الجهم فادر به.» ــ والذى أثبته هو ما في «ج». (م).
تخلّل: نفوذ، وخلّة، وخصلة.

٧٢ ــ «ج»: مفسدة. (م).
دربه: بابه.

(مسألة الطلاق ثلاثاً)

(٧٣) وَمَا رَدَدتَّ عَلَيْهِ فِىْ الطَّلَاقِ فَمَا
حَقَّقْتَ نَقْلًا وَلَا عَقْلًا ظَفَرْتَ بِـهِ

(٧٤) بَلْ فَاسِدُ الْقَصْدِ اَعْمى الذِّهْـنِ مِنْكَ كَمَـا
هِىْ عَادَةَ اللهِ فِىْ شَانٍ لِمَذْهَبِـــهِ

(٧٥) نَزَلْتَ حَوْلَ حِمَـاهُ كَىْ تُنَازِلَـهُ
فَمَـا عَلَـوْتَ عَلَيْـهِ بَلْ عَلَـوْتَ بِـــهِ

---

٧٣ — «ج»: عقلا ولا نقلا ... (م).

ألّف التقى السبكى عدّة رسائل في مسألة الطلاق، ردّ فيها، على اختيارات شيخ الإسلام في هذه القضية المهمة. ومن رسائل السبكى:

* «الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية»
* «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق»
* «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق».

وقد فصّل شيخ الإسلام القول في هذه المسائل في عديد من كتبه. كما تقدّم في شرح البيت رقم (٨٦) وما بعده من قصيدة السرّمّرى. وراجع التفصيل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) (٢٦٨ — ٢٧٩)

٧٤ — «ج»: أعيا (الذهن) — «هو» (بدل هى).

في الأصل (المطبوع): «فيمن شان مذهبه». والصواب ما أثبتّه. وفي «جلاء العينين»: «في قالٍ لمذهبه»، وهو بمعناه. (م).

٧٥ - «ج»: (علوت) عليله. وهو خطأ. (م).

حماه: محميّه.

تنازله: تقاتله، تقابله.

(٧٦) وَقَدْ أَجابَكَ فَانْظُرْ فِيْ الْجَوابِ تَرى
سَيْفاً تَجُوْلُ الْمَنَايَا عِنْدَ مَضْرِبِـــهِ

(٧٧) أَخَذْتَ مِنْهُ عُلُوْماً فَانْتَصَرْتَ بِهَا
عَلَـــىٰ سِوَاهُ وَكَـــانَتْ مِنْ مُهَذَّبِـــهِ

(٧٨) وَحُزْتَهَا مُجْمَلاتٍ مِنْ مُفَصَّلِـهِ
فَفَصِّلِ الآنَ مَا أَجْمَلْتَ تَحْظَ بِـهِ

(٧٩) وَهٰكَذَا كُلُّ مَنْ سَارَتْ رَكَائِبُهُ
يَقْفُـو خُطَـاهُ فَسَائِـــلْ مِن مُجَرِّبِـــهِ

(٨٠) وَإِنْ تَبَجَّحْتَ بالرَّدَّيْنِ لَسْتَ لَهُ
كُفْـؤاً وَلَا أَهْـلُ هذا الـعصرِ فَانْتَبِـهِ

---

٧٦ ــ «ج» (ص ٢٣):
قد أجابك فيها خير أجوبة كالسيف جالت منايا عند مضربه (م).
المنايا: جمع المنيّة: الموت.
راجع فهرس رسائل شيخ الإسلام في توضيح مسألة الطلاق المختلف فيها في شرح البيت رقم (٨٦) من قصيدة السرّمَرّي.

٧٧ ــ مهذّبه: ملخصه.

٧٨ ــ حزتها: جمعتها.
تحظ به: ترض به، وزنا ومعنى.

٨٠ ــ «ج»: وإن تبجّحتَ في ردّ فلستَ له .... (م).
تبجّحتَ: فرحت.
بالردين: أى في مسألتين: «الطلاق» وشد الرحال إلى القبور. وسيأتي ذكر شد الرحال والزيارة في البيت رقم (٨٨) من هذه القصيدة.

(٨١) كَمْ بَحْرِ عِلْمٍ أَتَاهُ عَادَ سَاقِيَةً

وَكَـمْ أزالَ صَدَى جَهْـلٍ بِصَيِّبِـهِ

(٨٢) وَمَا نَرَى لَكُمُ فِي الْخَلْقِ فَائِدَةً

غَيْـرَ التَّنَعُّـمِ فِي النَّعْمَـاءِ مِنْ شُبَـهِ

(٨٣) أَيْـنَ الثُّرَيَّـا مَكَانـاً فِي تَرَفُّعِهَـا

مِنَ الثَّـرىٰ؟ قَالَ هذا كُلُّ مُنْتَبِـهِ

(٨٤) مَنْ ذَا يَقِيسُ نَقِيَّ الْجِلْدِ مِنْ دَرَنِ الدُّ

نْيَـا وَأَمْرَاضِهَـا يَوْمـاً بِأَجْرَبِـهِ

(٨٥) لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ وَمَكْرُمَةٌ

وَجُـودُ مَعْرِفَـةٍ أَوْ ذِهْـنُ مُنْتَبِـهِ

---

٨١ — الشطر الثاني في الأصل: وكم جهول أتاه صار منتبه ....، والذى أثبتناه في (ج) وهو أجود. (م).

«ج»: صار (ساقية) ... (م).

ساقية: نهر صغير.

صدى: الحشو، الزايد، الوسخ.

بصيبه: بمطره، والمراد به العلم.

٨٢ — راجع شرح البيتين (٩٣، ١٤٣) من قصيدة السرّمرّى.

٨٣ — الثريّا: اسم النجم.

الثرى: التراب الندى.

ويقال: أين الثرى من الثريّاً.

٨٤ — درن: وسخ.

أجرب: الذى به جرب.

٨٥ — «ج»:

لوكان عند كمو إنصاف مكرمة   أو نقد معرفة أو ذهن منتبه (م).

(٨٦) لَكُنْتَ تَقْفُوْ وَرَاهُ قَفْوَ مُجْتَهِـدٍ
عِلْماً ودِيْنـاً وَأَمْـراً تُفلِحَـنَّ بِـهِ
(٨٧) لَوْ وَفَّقَ اللهُ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
إِلَى الصَّوَابِ لَسَارُوْا خَلْفَ مَذْهَبِـه

(قضية شدّ الرحال إلى القبور)

(٨٨) وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَيْـهِ عِنْـدَ ذِكْرِكُـمُ
تَرْكَ الزِّيَـارَةِ أَمْـرٌ لَّا يَقُـوْلُ بِـهِ

---

٨٦ — تقفو: تتبع.

٨٧ — قال الدكتور محمد خليل هراس: «هذه دعوة ابن تيمية. إصلاح وإحياء وتجديد. فهو بحقّ أبو النهضة الإسلامية الحديثة، وواضع أساسها. وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه اقتدوا، وعلى كتبه تخرّجوا» (ابن تيمية السلفى: ص ١٩٨، طبعة اليوسفية ١٩٥٢م)

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق:

«ولا أعلم لليوم مسألة عقائدية أو أصولية دار فيها بين أبناء الإسلام لغط إلا وجلّاها هذا الإمام العظيم، الذى لاغنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام الحقيقى، عن مطالعة كتبه والتزوّد من علمه.» (على ظهر غلاف «لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية).

٨٨ — «ج»: امراً (م).

راجع شرح البيت رقم (٩٢) من قصيدة السرّمَرّى للتفصيل في مسألة زيارة القبور وشد الرحال إليها، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» مبحث شد الرحال إلى القبور).

(٨٩) فَقَدْ أَجَابَكُمْ عَنْ ذَا بِأَجْوِبَةٍ
أَزَالَ فِيهَا صَدَى الْإِشْكَالِ وَالشُّبَهِ

(٩٠) وَقَدْ تَبَيَّنَ هٰذَا فِي مَنَاسِكِهِ
لِكُلِّ ذِيْ فِطْنَةٍ فِي الْقَوْلِ مُعْرِبِهِ

(٩١) رَمَيْتُمُوهُ بِبُهْتَانٍ يُشَانُ بِهِ
فَاللهُ يُنْصِفُهُ مِمَّنْ رَمَاهُ بِهِ

(٩٢) وَفِي الْجَوَابِ أُمُوْرٌ مَنْ تَدَبَّرَهَا
سَقَي الْأَنَامَ بِهَا مِنْ صَفْوِ مَشْرَبِهِ

---

٨٩ — «ج»: فيها (بدل «عن ذا») (م).

وقد ردّ شيخ الإسلام في هذه القضية على عدّة من علماء عصره في كتب مستقلة، ومنها:

* الردّ على الإخنائى.
* الجواب الباهر.
* المنسك القديم، والمنسك الجديد — وغيرها من الفتاوى والكتابات.

٩٠ — مناسكه: أى كتبه التي تتعلق بمناسك الحج. مثل: المنسك القديم، والمنسك الجديد، معربه: مبينه، والمفصح عنه.

٩١ — يشان: يعاب.

وكذلك رماه الإخنائى في هذه المسألة بمالم يقله. وبيّن ذلك شيخ الإسلام في كتابه «الردّ على الإخنائى».

(٩٣) وَلَمْ يَكُنْ مَانِعاً نَفْسَ الزيارةِ بَلْ
شَدَّ الرِّحَـــالِ إِلَيْهَـــا فادْرِ وَانْتبـــهِ

(٩٤) تَمَسُّكـاً بِصحِيـح النَّقْـلِ متَّبِعاً
خَيْـرَ الْقُـرُوْنِ أُولِـى التَّحْقِيْـقِ وَالنَّبَـهِ

(٩٥) مَعَ الْأَئِمَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ كُلِّهِـمِ
قَالُـوْا كَمَـا قَالَ قَوْلًا غَيْـرَ مُشْتَبِـــهِ

(٩٦) وَقَدْ عَلِمْتَ يَقِيْناً حِيْـنَ وَافَقَـهُ
أَهْـلُ الْعِـرَاقِ عَلَـى فُتْيَاهُ فَافْتِ بِـهِ

---

٩٣ — الشطر الثانى في «ج»: ... إليها فوق مركبه. (م).

ولاريب أن زيارة القبور مستحبّة، وقرّر ذلك شيخ الإسلام في كتبه بما لامزيد عليه ولا ينكره إلا معاند مكابر.

والذى نهى عنه شيخ الإسلام هو شد الرحال إلى القبور، استدلالًا بحديث النبى ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ....» (البخارى: ٣ /٦٣؛ ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أبى هريرة رضي الله عنه)

٩٤ — «ج»: مستمسكاً. الألى جاءوا بمذهبه (م).

وقد تقدّم آنفا، الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان. وهو مذهب القرون المشهود لها بالخير في حديث النبى صلى الله عليه وسلم.

٩٥ — راجع «الردّ على الإخنائى» (٧ — ١٢)

٩٦ — «ج»: فانتبه (بدل: فافت به) ... (م).

لقد وافق أهل العراق على ماذهب إليه شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال إلى القبور، وقاموا في الانتصار له والدفاع عنه. (مجموع فتاواه. ٢٧ /١٨٢ — ١٨٣، ١٩٣)

(٩٧) هٰذَا وَقَدْ قُلْتَ قُلْتَ فِيمَا قُلْتَ مُرْتَجِلًا
فِيمَـا تَقَـدَّمَ قَوْلًا غَيْـرَ مُنْجَبِـهِ

(٩٨) لَوْ كَانَ حَيًّا يَرَى قَوْلِيْ وَيَسْمَعُهُ
رَدَدْتُّ مَا قَالَ رَدًّا غَيْـرَ مُشْتَبِـهِ

(٩٩) فَابْرُزْ وَرُدَّ تَرَى وَاللهِ أَجْوِبَـةً
مِثْلَ الصَّواعِـقِ تُرْدِىْ مَنْ تَمُرُّبِـهِ

(١٠٠) عَقْـلًا وَنَقْـلًا وَآيـاتٍ مُفصَّلَـةً
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ شَهْمِ الْقَـلْبِ مُنْتَبِـهِ

(١٠١) مَاضِي الْجَنَانِ كَحَدِّ السَّيْفِ فِكْرَتُهُ
يُرِيْكَ نَظْمـاً وَنَثْـراً فِيْ تَأَدُّبِـهِ

---

٩٧ ــ مرتجلا: تكلمت كلاما بدون أن تهيّئه.
غير منجبه: خلاف الأولى والمختار، باطل.
وفيه إشارة إلى قول السبكى:

هذا الذى قاله السبكى مرتجلا ... وللبسيط انتمى في بعض أضربه

٩٨ ــ من أبيات السبكى.

٩٩ ــ الصواعق: جمع صاعقة: وهى نار تسقط من السماء.
تردى: تهلك.

١٠٠ ــ أروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره، أو بشجاعته.
شهم القلب: الذكى الفؤاد المتوقّد.

١٠١ ــ الجنان: القلب.

(١٠٢) وَقّادُ ذِهْنٍ إِذَا جَالَتْ قَرِيْحَتُهُ
يَكَادُ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَلَهُّبِهِ

(١٠٣) يُقَابِلُوْنَ الَّذِىْ يَأْتِى بِمُشْتَبِهٍ
مِنَ الْكَلامِ وَلَا يَخْشَوْنَ ذَا النَّبَهِ

(١٠٤) فَمَنْزِلُ الْقَوْمِ فِىْ أَعْلَى مَنَازِلِهِمْ
فَلَيْسَ ذُوْ مَنْصِبٍ يُحْمَى بِمَنْصِبِهِ

(١٠٥) وَانْظُرْ إِلَى مَنْ طَغَىٰ فِىْ الْأَرْضِ مِنْ أُمَمٍ
وَلَا تَكُنْ سَالِكاً فِىْ إِثْرِ سَبْسَبِهِ

---

١٠٢ ــ تلهّبه: اشتعاله.

١٠٣ ــ هذا البيت ساقط من «ج». (م).

١٠٤ ــ في الأصل: فنزل (بدل: فمنزل) ... (م).

«ج»: ينجو (بدل: يحمى) ... (م).

فليس ذو منصب: أي إن المنصب الدنيوى لايساوى عندالله شيئاً، بل الاعتبار عنده سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصلِ مِيْقَاتُهُمْ أَجْمَعِيْنَ. يَوْمَ لايُغْنِيْ مَوْلًى عَنْ مَّولًى شَيْئاً وَّلَاهُمْ يُنْصَرُوْنَ. إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ﴾ [الدخان: ٤٠ ــ ٤٢]

١٠٥ ــ إثر سبسبه: وراءهم في أمكنتهم وبلادهم.

بيّن الله سبحانه وتعالى طغيان كثير من الأمم في كتابه، ثم إهلاكهم لأجل ظلمهم وعدوانهم، فقال تعالى:

﴿فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوْشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَّقَصْرٍ مَّشِيْدٍ﴾ [الحج : ٤٥]

وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَّعُيُونٍ وَّزُرُوْعٍ وَمَقَامٍ كَرِيْمٍ. وَّنِعْمَةٍ كَانُوْا فِيْهَا فَاكِهِيْنَ. كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِيْنَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوْا مُنْظَرِيْنَ﴾ [الدخان: ٢٥ ــ ٢٩]

(١٠٦) إِنَّ الْإِلٰهَ يُجَازِىْ كُلَّ ذِى عَمَلٍ
بِمِثْلِ إِحْسَانِهِ أَوْ قُبْحِ مَكْسَبِهِ

(١٠٧) هَذَا جَوَابُكَ يا هذا مُوَازَنَةً
بَحْراً وَقَافِيَةً فِىْ النَّظْمِ وَالشَّبَهِ

(١٠٨) وَالْحَمْدُ للهِ حَمْداً لَا نَفَادَ لَهُ
جَارٍ عَلَى مُرِّ مَا يُقْضَى وَأَطْيَبِهِ

(١٠٩) ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفاً
مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى الْهَادِىْ بِمَذْهَبِهِ

---

١٠٦ ــ قال سبحانه وتعالى:
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ﴾ [فصّلت: ٤٦]
وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فِيْهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لَايُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَّلَا كَبِيْرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً.﴾ [الكهف: ٤٩]
١٠٧ ــ جوابك يا هذا: أى السبكى.
بحرا: من بحور العروض.
قافية: آخر كلمة في البيت ... أو هى الحرف تبنى عليه القصيدة.
١٠٨ ــ لانفاد له: لا انتهاء له.
جارٍ على .... في حالة العسر واليسر.
١٠٩ ــ الشطر الثانى فى «ج»:
«محمد المرسل الهادى لمذهبه» (م).

(١١٠) وَآلِـهِ وَالصِّحَـابِ الْغُـرِّ كُلِّهِـــمِ
مَا أَشْرَقَ الْجَـوُّ مِنْ أَنْـوَارِ كَوْكَبِـــهِ

* * *

---

١١٠ ــ «ج»: قاطبة (بدل: كلّهم) ... (م).
الغُرُّ: من القوم، شرفاؤهم.

* * *

تم هذا التعليق على قصيدة أبى عبدالله محمد بن يوسف الشافعى اليمانى ــ رحمه الله تعالى ــ بعون الله العزيز القدير. وبنعمته تتم الصالحات. وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

نيو دلهى : بقلم: الراجى إلى عفو الله الصمد
يوم الخميس صلاح الدين مقبول أحمد
٢٢ / ١١ / ١٤١١ هـ غفر الله له ولو الديه ولإخوانه ومشايخه
٦ / ٦ / ١٩٩١ م.

فهرس محتويات الكتاب


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

*   *   *

مطبوعات

مجمع البحوث العلمية الاسلامية

(نيو دلهي ــ الهند)

* الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر العسقلانى.
* زوابع في وجه السنة قديما وحديثا.
* دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة.
* فكرة المهدى المنتظر للدكتورعبدالعليم عبدالعظيم البستوى (تحت الطبع)

الأردية:

* زادالمعاد في هدى خير العباد لابن القيم. (تحت الطبع)
* التصور القرآني في التوحيد (توحيد كا قرآنى تصور)
* تقوية الايمان للعلامة إسماعيل الدهلوى.
* الخمر وسائر المسكرات: تحريمها وأضرارها للقاضي بن حجر آل بوطامي.
* هل تسمع الأموات؟ (كيا مردے سنتے هيں؟)
* الأدعية المأثورة

الإنجليزية

* الخطوط العريضة للعلامة محب الدين الخطيب.
* الدين الصحيح لأبي أمينة (THE TRUE RELIGION)
* الإسلام (WHAT IS ISLAM)

كتب للمؤلف

ـ التحقيقات :

- مسألة العلو والنزول لابن طاهر، مكتبة ابن تيمية بالكويت
- مختصر المؤمل في الردّ إلى الأمر الأوّل، لابن شامة، مكتبة الصحوة
- وإرشاد النقّاد للأمير الصنعانى، الدار السلفية
- تحفة الأنام لمحمد حياة السندى مكتبة المعلا
- المتوارى لابن المنيّر الإسكندرانى مكتبة المعلا
- الإمتاع بالأربعين، لابن حجر العسقلانى، الدار السلفية
- الزهر النضر في حال الخضر، له أيضا. مجمع البحوث الإسلامية نيو دلهى
- الحمية الإسلامية للسرّ مرّى (قصيدة) «
- نقض «قواعد في علوم الحديث» للراشدى (لم يطبع)

ـ التعريبات :

- موقف الجماعة الإسلامية من الحديث لمحمد إسماعيل السلفى الدار السلفية بالكويت
- نظرة في مذهب أهل الحديث لأبى القاسم البنارسى (لم يطبع)

ـ التأليفات :

- دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات المعاصرة. مجمع البحوث العلمية الإسلامية
- زوابع في وجه السنّة «
- تأريخ أهل الحديث في شبه القارّة الهندية. (لم يطبع)
- الدفاع عن الحديث وردّ شبهات المستشرقين. «
- عوامل وحدة الأمة الإسلامية. «
- مدارسنا مهدّدة من داخلها. «